أجاثا كريستي

الانتقام الرهيب



مكتبة معروف

اجاثا كريستي

الانتقام الرهيب

عمرو يوسف

مكتبة معروف

الاسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ ، ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ٢٧٠ الإسكندرية

الفصل الأول

بدأت قصة هذه الجريمة في قاعة المحاضرات ..

راح المحاضر يذكر تفاصيل الجريمة وملابساتها بكل دقة حتى يضع الطلبة في الوضع المناسب لتفهم أركان الجريمة ثم ليصدروا أحكامهم بعد ذلك على أساس سليم ، ورغم أن المحاضرة استغرقت وقتاً طويلاً إلا أن الطلبة كانوا مستمتعين بها للغاية وبكلمات المحاضر الذى نجح فى الاستحواذ على عقولهم تماماً وجعلهم يعيشون جوا من الإثارة والترقب .

★ ★ ★

انتهت فترة الراحة وأخذ الطلبة يسرعون إلى قاعات المحاضرات المختلفة وبينهم كانت فتاتان تركضان بسرعة للحاق بالمحاضرة حتى لا تدخلان إلى القاعة بعد المحاضر الذى لا يسمح بذلك ..

وإخيراً وصلت الأولى إلى قاعة المحاضرات وهى مبهورة الأنفاس وقالت :

– أخيراً وصلنا .. من حسن حظنا أنه لم يدخل إلي القاعة .

ولكنها لم تجد زميلتها إلى جوارها كما كانت تتوقع .. استدارت

للخلف تبحث عنها فوجدتها تسير خلف جمع غفير من الطلبة يدخلون إلى قاعة محاضرات أخرى ..

هرولت إليها بسرعة وهى تقول بغيظ :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟ هيا بنا لنلحق بالمحاضرة ..

فقالت الأخرى :

- أريد أن أعرف سر هذا الإقبال الشديد على سماع المحاضرة ..

سمعها أحد الطلبة كان يقف بالقرب منها فقال :

- انها تدور حول التحليل الطبى لدوافع الجريمة ..

فقالت لزميلتها :

- يبدو أن الموضوع شيق للغاية .. هيا بنا ندخل لسماع هذه المحاضرة ..

- ولكن من هو المحاضر ؟.

ذكر الطالب نفسه اسم المحاضر ولكن صوته ضاع وسط الضوضاء والضجيج فجذبت الفتاة زميلتها إلى داخل القاعة حيث كان المدرج مزدحماً بعدد كبير من الطلبة وهم متأهبون لسماع المحاضرة وتدوين ملاحظاتهم ..

دخل المحاضر إلى القاعة وبدأ السكون يخيم تدريجياً ..

تطلعت الفتاة بدهشة إليه .

كان يختلف تماماً عن الصورة التقليدية للمحاضر المعروف لديها .. فقد كان شاباً فى مقتبل العمر .. أنيق الهندام يرتدى رباط عنق زاهى الألوان بعكس باقى الأساتذة الذين يرتدون الملابس القاتمة ويضعون النظارات السميكة ويتركون لحاهم مسترسلة ..

غمغمت قائلة :

– من هو المحاضر ؟.

فقال نفس الفتى الذى يبدو أنه يدرس الطب :

– انه استاذ فى جراحة المخ ولكنه سيلقى الآن محاضرة فى علم النفس الجنائى .. إنه نابغة فى هذا العلم .. إن محاضراته ممتعة للغاية فلا تدعها تفوتك ..

فقررت أن تستمع إلى هذا المحاضر الذى اجتذب إليه أعداداً غفيرة من الطلبة لم تشهدها القاعات من قبل ، وأخذت تبحث عن مكان لتجلس فيه هى وزميلتها حتى عثرت على مكان صغير يكفيهما بالكاد ..

وقد أحسنت الفتاتان الاختيار حيث كانت القاعة تغص بأعداد كبيرة من الطلبة من كافة الكليات ..

كما كان هناك عدد كبير من الرجال والنساء الذين لايدرسون فى الجامعة ولكنهم حضروا من أجل سماع محاضرات هذا الجراح الشهير .

تطلع الجميع إلى المحاضر وهو يتجه نحو المنصة فى خطوات متأنية ويتفرس فى الحضور بعينيه السوداوين ..

ثم بدأ المحاضرة قائلاً :

- ان معظم الجرائم التى يتم ارتكابها فى المجتمعات البشرية المتحضرة تكون بواسطة أشخاص شواذ العقل لا يفكرون بالطريقة الطبيعية المألوفة ، وربما يكون السبب فى ذلك نشأتهم وسط بيئة غير طبيعية أصابتهم باختلال عصبى ..

إن الجرائم التى ارتكبها أشخاص شواذ بطبيعتهم هى قليلة للغاية ، كما أنه من النادر أن تظل عقول المجرمين سليمة بعد ارتكاب الجرائم ..

شعرت الفتاة أن المحاضرة سوف تكون شيقة للغاية فانتبهت كل حواسها رغم عدم فهمها للكثير من المصطلحات الفنية التى كان يستخدمها المحاضر بين وقت وآخر ..

كما كان صوت الرجل العميق القوى يصل إلى القلوب مباشرة مما يجعل كلماته تحدث الأثر المطلوب بسهولة ..

قال المحاضر :

- واليوم سوف نتناول أحد الموضوعات الهامة بخصوص دوافع الجريمة وهو دافع الانتقام ..

وغالباً ما يكون دافع الانتقام هو السبب فى ارتكاب معظم

المجرمين العاديين - غير الشواذ - لجرائمهم .. وهو دافع قوى للغاية ..

إن الانتقام يهيج العواطف ويثير النفوس إلى درجة شديدة تتضاءل أمامها نوازع الخير لدى الإنسان ، ولذلك فإن العديد من الدول تصدر أحكاماً مخففة على المجرمين الذين يرتكبون جرائهم بدافع الثأر أو الانتقام ..

نعم .. إن هذا يحدث بالفعل فى بعض الدول حتى ولو ارتكبت هذه الجرائم مع سبق الإصرار والترصد ، ويتم معاملة مرتكب الجريمة برفق .

إننا ننظر إلى الموت والحياة نظرة مرتبطة بما اصطلح عليه العرف واتفق عليه الناس في كثير من الأحيان ، وهذه النظرة لاتختلف عن نظرتنا إلى العادات والتقاليد ..

ولذلك فإن الشخص الذى يندفع وراء عواطفه ودوافعه لارتكاب الجريمة لا يعتبر مذنباً إلا لأنه خالف هذه الأعراف فقط ..

والآن سوف أتحدث معكم بالتفصيل عن رجل من هذا النوع يعد مثالاً حياً لما قلت .. فهو رجل يتمتع بالاتزان فى التفكير وسلامة. الإدراك ويحظى بالتقدير والاحترام من قبل المجتمع ..

وكان موقعى القريب من هذا الرجل كفيلاً بأن أدرسه دراسة متعمقة وأتابع كل تحركاته وخلجات نفسه ، وقد عشت تجربته

بنفسى وقررت أن يستفيد منها الجميع .. أما هذا الشخص فسوف نطلق عليه اسماً مستعاراً..

بل إنني سوف استخدم اسماء مستعارة لجميع أبطال هذه القصة التى سوف تستمعون إليها ..

سوف أطلق عليه اسم مايكل جويس ..

★ ★ ★

الفصل الثانى

بدأ المحاضر الشاب فى سرد قصتة بأدق تفاصيلها ..

قال :

– كان بطل القصــة الذى أطلقت عليه اسم مايكل جويس مـتزوجاً ولكنه زواج فاشل ولذا فقد عاش منفصلاً عن زوجته تماماً ..

كان يعمل طبيـباً ويمتلك مستشفى خاصــاً فى هارلى ستريت وقد حقق شهـرة واسعة ونـجاحاً مهنـياً ساحقاً وازدحمت عـيادته دائماً بعشرات المرضى ، ولذلك فقد كان سعيداً غاية السعادة ..

فبرغم فشل حـياته الزوجية إلا أن نـجاحه العـملى والشهرة التى حققها وتهافت المرضى عليه كل هذه العوامل جعلته يشـعر بالسعادة والرضا .

أما علاقته بزوجته فكانت أشبه بعلاقة صديقين لا تربطهما صداقة قوية ولا يحاول أحدهما أن يتدخل فى شئون الآخر ..

ولم يهمل الدكـتور مايكل جويـس واجبه نحو زوجـته فكان ينفق عليها بسـخاء ..

أقام الدكتور مايكل بمفرده فى منزله الفخم ولم يكن معه سوى عدد قليل من الخدم الذين أحبوه حباً خالصاً ، فهو طيب القلب دمث الأخلاق ..

ولم يبتعد عن الحياة الاجتماعية بل كانت له علاقات بالعديد من الأصدقاء ، وكان يشارك فى العديد من المآدب والحفلات ويلتقى فى النادى بأصدقائه..

وفى أوقات فراغه القليلة كان يمارس هواية القراءة الأدبية كما كان يهوى العزف على البيانو ، بل إنه كان عازفاً بارعاً للغاية على هذه الآلة التى عشقها ووجد فيها خير دواء لعلاج أعصابه المرهقة ..

أما أحب الأشياء إلى نفسه فكانت هى العمل ..كان يحب عمله إلى درجة لا يتصورها أحد .. أنه يقدس العمل ولذلك حقق فيه هذا النجاح الساحق ..

ولم يخطر بباله أبداً أن هناك أى شىء فى العالم يمكن أن يؤثر فى حياته المنتظمة الدقيقة كعقارب الساعة ..

★ ★ ★

فى صباح أحد الأيام كان فى عيادته وأخذ يطالع التقرير الطبى الخاص بأحد مرضاه ومعه الخطاب الذى تلقاه بشأنه ..

وبعد قليل دخلت سكرتيرته مس مارش إلى حجرته ومعها سيدة صغيرة وابنتها الطفلة ..

تطلع الدكتور مايكل إلى الطفلة وقدر أن عمرها لا يزيد على اثنى عشر عاماً قدمت إليه السكرتيرة السيدة قائلة :

– مسز رايت ..

صافحها الطبيب بحرارة كما هى عادته دائماً مع زائريه وقال لها :

– مرحباً بك يا مسز رايت .. كيف حالك ؟..

ثم ركز نظراته على الفتاة الصغيرة النحيلة الساقين والتى أخذت تنظر إليه نظرات جامدة بعينيها الزرقاوين الجميلتين .. ثم قالَ للسيدة ..

– أعتقد أن هذه هى ابنتك ؟..

قالت بلهجة تنم عن القلق :

– نعم .. إنها ابنتى أن التى كتبت لك عنها ..

ربت الطبيب على كتف الفتاة وطلب منها الجلوس ثم قال للأم :

– نعم .. لقد وصلتنى رسالتك والتقارير المرفقة بها ..

ثم اقترب من الفتاة وراح يمسح شعرها الكستنائى الجميل ويفحص آثار جرح قديم بأعلى جبهتها ثم سأل الطفلة ..

– أعتقد ان هذه آثار جراحة عاجلة لعلاج إصابة ناتجة عن غارة جوية ..

قالت أن بصوت طفولى خافت :

- نعم ..

- وأنت الآن تشعرين بضعف شديد فى الإبصار ..

قالت الأم :

- قال أخصائى العيون إن هذه الحالة لا تخصه وان علاجها ليس له فيه ..

سأل الطفلة قائلاً :

- هل يمكنك القراءة يا طفلتى العزيزة ؟.

- كلا .. اننى لا أستطيع رؤية الكتابة بوضوح .

أخذ ينظر إليها قليلاً قبل أن يقول بصوت خافت

- معى الآن تقرير طبيب العيون ويقول ان حالتها هى (ضعف متواصل فى قدرات الابصار لديها دون سبب واضح) ..

مسز رايت .. إن حالة طفلتك خطيرة ولابد أن يتم إدخالها إلى المستشفى لإجراء العديد من الفحوصات الدقيقة عليها لنعرف السبب الحقيقى لعلتها .. ما رأيك فى هذا يا أن ؟.

لاحظ الطبيب شحوب وجه الطفلة التى قالت :

- اننى أوافق ياسيدى ..

فقالت مسز رايت :

- ما رأيك ؟ هل يمكن أن نبدأ فى ذلك الآن ؟.

قال الدكتور جويس .

– ان هذا يكون أفضل حتى لا يتدهور الإبصار أكثر من ذلك ويصبح علاجه متعذراً بعد ذلك ..

أخذ الطبيب يفحص عينيها بواسطة المجهر وهو يتحدث إليها برفق ، وبعد أن انتهى من الفحص كان قد توصل إلى معرفة سبب ما تعانية الطفلة ، واتفق مع مسز رايت على أن يتم إدخال أن إلى المستشفى على الفور ..

ابتسم فى حنان للأم التى كانت تنظر إليه فى خوف وضراعة لأول مرة خلال هذه الزيارة ، ولكن ابتسامته جعلتها تشعر بالاطمئنان ..

بعد قليل بدأ الطبيب فى إجراء العديد من الفحوصات والاختبارات الصعبة للطفلة أن التى تقبلت كل ذلك فى صمت واستسلام مما يدل على حسن تربيتها وقوة تحملها مما أثار إعجاب مايكل جويس وقال لنفسه :

– يالها من طفلة قوية الإرادة غير مدللة كغيرها ..

أما أمها فقد أبدت رباطة جاش وثباتا طوال الأيام التالية ، وكانت تنتظر نتائج الأبحاث والفحوصات بفارغ الصبر ولكن دون أن تظهر عليها علامات القلق والأنفعال ..

خلال هذه الفترة كانت نظرة الدكتور مايكل جويس إلى مسز ايما

رايت تتحصر فى الاعجاب بصبرها وقوة تحملها كأم نموذجية ولا شئ غير ذلك ..

وأخيراً تبين وجود جسم غريب دقيق للغاية فوق العصب البصرى ، وقد وضح ذلك من خلال صورة الأشعة ..

صارح مايكل جويس ، مسز ايما رايت بذلك وأطلعها على صورة الأشعة وأوضح لها ضرورة إجراء جراحة عاجلة لإزالة هذا الجسم حتى تستعيد الطفلة قدرتها على الإبصار مرة ثانية ، وأنه من الضرورى الإسراع بإجراء هذه الجراحة قبل أن تفقد البصر نهائياً ..

ارتعدت المرأة ثم قالت بصوت خافت :

– ولكن هل هى جراحة خطيرة ؟ أعتقد أنها شديدة الخطورة على حياتها ..

– انها جراحة كبرى بالطبع وهناك نسبة خطورة فى مثل هذه الجراحات ..

– يا إلهى .. ما مدى الخطورة هنا ؟.

ابتسم مايكل جويس وقال برفق :

– ربما تكون الجراحة خطيرة ولكن نسبة الوفاة هنا لا تزيد عن واحد فى المائة .

فبدا القلق على وجه المرأة رغم ذلك وقالت بلهجة تفيض بالأسى ·

– وماذا يحدث إذا لم يتم إجراء الجراحة لها ؟..

وقررالطبيب أن يصارح ايما رايت بالحقيقة فلا داعى لإخفاء أى شيء عنها خاصة وأنها تتمتع بقوة الأعصاب

أجابها قائلاً :

– فى هذه الحالة سوف تفقد القدرة على الإبصار نهائياً خلال فترة قصيرة ..

بدا القلق والتوتر على وجه المرأة وراحت أصابعها تتقلص بانفعال .. ثم قالت :

– اننى لا أعرف ماذا أفعل ؟ وما هو القرار الذى ينبغى اتخاذه فى هذا الموقف الصعب .. ليت فيليب عاد من رحلته .. انه أكثر قدرة منى على مواجهة هذه المواقف ..

– عليك ان تتخذى قرارك بسرعة لأن كل يوم يمر يجعل حالتها تزداد سوءاً ..

قالت ايما رايت بأسى :

– نعم ..اننى أعلم ذلك جيداً ..ولكن ..

ثم توقفت الكلمات على شفتيها فنظر اليها الطبيب مشجعاً فقالت :

– ولكن هل أنت واثق انها لن تكون ضمن نسبة الواحد فى المائة !!..

فقال لها بلهجة تفيض بالثقة

– لا داعي للتردد أبداً يا مسـز رايت ، فسـوف تنجح العملية وتستعيد ابنتك القدرة على الإبصار ، فلا داعى للخوف أو التردد وعليك أن تثقى بى ..

أخذت إيما تتطلع إلى مايكل جـويس بعينيـها الزرقـاوين وكأنـها تستمد منه القوة والثقة ثم ابتسمت ابتسامة شاحبة وقالت أخيراً :

– حسناً يادكتور .. اننى أوافق على إجراء الجراحة ..

– سوف نتـركها فـى المستشـفى الآن ثم نواصل إجراء التـحاليل والاختبـارات خلال الأيام القادمة حتى تأتى اللحظة المناسـبة لإجراء الجراحة ..

وقبل أن تنصرف أمسك بيدها ثم غمغم قائلاً :

– أرجـو أن تطمـئنى تمامـاً يا مـسـز رايت .. سـأبذل قـصـارى جـهدى ..

قالت :

– اننى مطمئنة تماماً

★ ★ ★

خلال الأيام التـالية كـان مايكل جـويس يرى أن كل يوم وبالطبع كانت معها أمها ومن خلال تلك اللقـاءات المستمـرة علـم أن الأب

چيولوچى من الذين يختصون بدراسة طبقات الأرض وأنه مسافر دائماً ولذلك وضعت المرأة كل عواطفها واهتماماتها فى ابنتها الوحيدة وأحبتها لدرجة العبادة ..كان مايكل جويس يرى بوضوح علامات هذا الحب تطل من عينى مسز رايت كلما نظر إليهما ..

أخيراً رأى مايكل جويس ، أن الوقت أصبح مناسباً لإجراء العملية .

وفى اليوم المحدد لإجراء العملية وقف كل من مايكل وايما .. ينظران إلى أن الراقدة فى الفراش وقد نحل جسدها حتى بدت كالشبح ..

قال مايكل للفتاة انه سيضطر لقص شعرها الجميل فجزعت المسكينة وقالت :

– أرجوك يا دكتور .. لا داعى لذلك حتى لا يكون منظرى بشعاً ..

ابتسمت لها إيما مشجعة وقالت :

– لا داعى للقلق يا عزيزتى .. سوف ينمو بأسرع مما تتصورين ويعود أجمل مما كان ..

حاولت الطفلة المسكينة أن تتظاهر بالشجاعة إلا أن وجهها أزداد شحوباً وعلته علامات الخوف والقلق ..

قال لها مايكل برقة :

– لا داعى للخوف يا عزيزتى .. فسوف نجعلك تنامين نوماً عميقاً

وعندما تستيقظين ستجدين كل شئ قد انتهى .. وسوف تستعيدين بصرك مرة أخرى ..

انتهى مايكل من الحديث مع أن واتجه إلى الباب لمغادرة الغرفة فتبعته ايما ولكن الطفلة تشبث بها بقوة فقالت لها الأم :

– لا داعى للقلق يا حبيبتى .. سوف يبذل مستر جويس أقصي جهده من أجلك ..

أخذت الفتاة تتوسل إليها وتطلب منها أن تظل بجوارها ولا تتركها أبداً فقال لها مايكل :

– سوف أترك معك والدتك حتى تستغرقين فى النوم ..

قالت آن بجزع :

– أريدها أن تظل بجانبى حتى أفيق ..

– حسناً .. سوف تظل بجانبك دائماً ..

هتفت الفتاة بسعادة :

– هيا يا أماه .. تعالى إلى هنا بجوارى ..

وعلى الفور شعرت ايما بالخوف من رؤية ابنتها أثناء إجراء الجراحة فقالت :

– سوف أكون بالبهو أمام الغرفة يا عزيزتى ..

ولكن الفتاة ألحت عليها أن تظل بجوارها فقال لها مايكل جويس ان ذلك باستطاعتها ..

قال جويس للفتاة :

– سوف أعود إليك بعد قليل ..

ثم غادر الغرفة ولحقت به ايما وسألته عما إذا كان وجودها ضرورياً فى غرفة العمليات فشعر بالشفقة نحوها ، فوجهها كان شديد الامتقاع تبدو عليه دلائل القلق الشديد فقال لها :

– لقد قلت ذلك لأطمئن أن فقط ولكنكِ ستبقين بالخارج ..

– ألا يمكننى الدخول إلى غرفة العمليات ؟..

– كلا بالطبع .. ان هذا مستحيل .. سوف تغيب عن الوعى ولن تشعر بشىء بعد ذلك ..

– ان هذا لا يهمنى .. لقد وعدتها أن أبقى بجانبها وصدقتنى ، فإذا ما تبينت بعد ذلك اننى كذبت عليها فلن تصدقنى بعد ذلك فى أى شىء .

– انها لن تعرف أبداً أنك لم تدخلى إلى غرفة العمليات فلا داعى للقلق من هذه الناحية ..

★ ★ ★

بعد قليل كانت أن ترقد فوق منضدة العمليات وهى غائبة عن الوعى وحولها الدكتور جويس ومساعدوه وعدد من الممرضات .. الكل يرتدون الملابس المعقمة ولا يبدو من وجوههم سوى عيونهم فقط ..

وبدأت الجراحة الصعبة التى أجراها مايكل جويس بكل براعة واقتدار وبذل فيها جهداً كبيراً .. حتى أنه فى النهاية شعر بآلام شديدة فى كتفه .

ونجحت العملية ..

★ ★ ★

الفصل الثالث

غادر مايكل جـويس غرفة العمليات فخلع الملابس المعـقمة وارتدى ملابسه العادية ثم ذهب إلى غرفة الانتظار حيث كانت ايما جالسة فى لهفة ، لم يلاحظ أن هناك سيدة أخـرى تجلس معها وعلى الفور اتجه إلى ايما التى مـا كادت تراه حتى هبت واقـفه بعصـبية شديدة وبدا وجههـا شديد الشحـوب ..حاولت أن تنطق ولكنها فشلت فى الـتفوه بكلمة واحدة فقال مايكل جويس :

– حسناً يا مسز رايت .. لقد انتهى كل شىء ..

هتفت المرأة فى صوت حاد :

– مـاذا تـعنى ؟ هل انتـــهى كل شىء ؟..

– انتهى كل شىء على خير ونـجحت العملية ..

راحت ايما تحدق فى وجهه وكأنها لم تستوعب ما قال ثم ارتعشت شفـتاها وانهمرت دمـوعها بغزارة .. فـراح مايكل يربت على كتفـها ويهدئ روعها ثم قال لها برقة :

– انها الآن بخير ..

حاولت ايما أن تستعيد هدوءها ثم قالت أخيراً :

- لقد تحطمت أعصابى خلال فترة الانتظار الطويلة التى قضيتها .. يا إلهى .. لقد خشيت أن تكون قد ..

ثم تهدج صوتها وتساقطت دموعها ..

ولكنها تمالكت نفسها ومسحت دموعها وقالت :

- إن الإنسان يتعذب إذا كان يحب شخصا أخر كل هذا الحب ..

وهنا انطلق صوت المرأة الأخرى التى لم يتنبه إليها مايكل وقالت .

- لقد قال الدكتور إنها على مايرام فيجب أن تتماسكى ..

- نعم .. سأحاول ..ولكن هل يمكننى رؤيتها الآن يا دكتور ؟..

- بعد قليل سوف تفيق من أثر المخدر ولكننى أفضل أن تظل فى راحة تامة ..

قالت ايما بضراعة :

- لن أزعجها أبداً يا دكتور .. أعدك بذلك .. اننى فقط أريد أن أراها وأطمئن عليها .. إنك لا تعلم مدى القلق الذى يعصف بى ، وعندما أراها سوف أكون أحسن حالاً ..

فقالت المرأة الأخرى وقد نفذ صبرها :

- لا داعى لهذه الحماقات يا ايما .. هيا بنا ننصرف ويكفى أننا علمنا انها بخير وأن العملية نجحت ..

نظرت إليها ايما بدهشة ثم ابتسمت للدكتور مايكل جويس وقالت معتذرة :

– اننى آسفة يا دكتور فلم أقدمك إلى مسز هوارد أخت زوجى .. هذا الدكتور مايكل جويس .. فتبادلا التحية بطريقة فاترة وقد شعر مايكل نحوها بالنفور ..

أما عن شعوره فى هذه اللحظة فكان هو الإراحة التامة لأنه نجح فى إدخال الطمأنينة على قلب ايما بما بذله من جهد كبير فى الجراحة ..

وفى هذه اللحظة لم يحاول تحليل مشاعره تجاه ايما ..

★ ★ ★

أعقب ذلك انتظار قاتل خلال الأيام التالية ..كانت الطفلة راقدة فى فراشها وهى محاطة الوجه والرأس بالضمادات ، بينما كانت إيما تشعر بالقلق الشديد عليها ولا تكف عن التساؤل بينها وبين نفسها : هل تستعيد أن القدرة على الإبصار ؟.

وكان مايكل يطمئنها باستمرار ويقول لها أن الفتاة تتقدم تقدماً مضطرداً نحو الشفاء التام وان كل شئ سوف يصبح على مايرام ..

سارت الأمور فى مجراها الطبيعى وبدأ القلق على نجاح الجراحة ينتقل إلى مايكل جويس نفسه .. لقد شعر بالخوف من فقدان الطفلة للبصر وكأنه يفكر بعقل الأم وقلبها ..إنها المرة الأولى التي يفكر فيها مايكل جويس بهذه الطريقة ..

فهو الطبيب البارع المشهور فهل يشك فى قدراته الآن ؟.ولكن الأمور أخذت فى التحسن تدريجياً ، وبدأت أن تصرح بأنها ترى ما حولها ولكن بصورة غير واضحة ، ثم بدأت الصورة تتضح أكثر وأكثر مع الأيام وانطلقت ضحكتها المرحة مرة أخرى وبدأت تتحدث بطلاقة ..

وفى أحد الأيام كانت والدتها تجلس بجوارها وتطالع معها أحد الكتب المصورة فأعلنت الطفلة أنها ترى كل شئ بوضوح تام وراحت تقرأ بصوت عال ..

بل انها استطاعت ان تقرأ كل شيء بعد أن تم إبعاد الكتاب إلى نهاية فراشها وقالت ضاحكة :

– أرأيت يا أماه .. بإمكانى رؤية كل شيء الآن ..

ودخل مايكل جويس ورأى ذلك ورقص قلبه طرباً كما لو كانت أول جراحة يجريها .. وخلال هذه الفترة كان مايكل يلتقى كل يوم بإيما ويقضيان معاً وقتا طويلاً وهما رهينة القلق والخوف على مصير الطفلة .. لقد وجد بينهما هذا الشعور وخفق قلباهما بنبض الأمل معاً فامتزجت روحاهما بدون إرادتهما ..

وبعد النجاح التام للعملية كانا يتقاسمان الفرحة والسعادة سوياً ويشعران بالسرور والرضا .. ومن ناحيتها كانت ايما تشعر بالإمتنان الشديد للدكتور جويس الذى حقق المعجزة وأعاد إلى ابنتها

الحبيبة القدرة على الإبصار ، أما مايكل فقد بدأ اهتمامه بها يزداد يوماً بعد يوم خاصة بعد أن زال الخطر عن آن وبدأت تستعيد قدرتها على الإبصار تماماً وساعد ذلك ايما على أن تتخلى عن تحفظها وتعود إلى بشاشتها ومرحها .. وجدها مايكل شديدة الجاذبية .. بعيدة عن التكليف وشعر أنه لا يستطيع الابتعاد عنها ..

وأخيراً جاء اليوم الذى كان مايكل يخشاه .. كان هو موعد الزيارة الأخيرة له قبل أن تعود مع ابنتها إلى منزلها الريفى ..

قالت إيما :

– لقد ذهبنا أمس إلى السينما معاً .. انها المرة الأولى التى تذهب إلى السينما منذ عام ..

وقالت آن بسروره :

– كان عرضاً رائعاً ..

أعقب ذلك فترة من الصمت كان مايكل وإيما يتطلعان إلى بعضهما البعض وأخيراً قالت ايما وهى تحاول الابتسام :

– أعتقد أنها المرة الأخيرة التى نراك فيها يادكتور ..

فهتف مايكل من أعماق قلبه :

– كلا .. يجب أن أراك ..

فقالت ايما بصدق وحرارة مماثلة :

- نعم .. معك حق ..

وبعد أن خرجت هى وابنتها من الباب شعر بأنه يفقد شيئا عزيزا عليه شيئا لا يمكن أن يفارقه ولكنه لا يعرفه تماماً ..

تطلعت الفتاة إلى الشارع وراقتها أشعة الشمس المشرقة فقالت لأمها :

- ها هى الشمس تشرق من جديد .. هذا اليوم مناسب للنزهة ..

- هل تحبين الذهاب إلى الحدائق اليوم ؟.

ولكن الفتاة كانت قد ابتعدت عنها فالتفتت إلى الدكتور مايكل جويس الذى وقف أمام الباب الخارجي .. شعرت بالحزن يعتصر قلبها وهى تفارق هذا الرجل الذى أعاد إليها السعادة وكان جزءً أساسياً من حياتها طيلة الأشهر الماضية ..

قالت :

- وداعاً يا دكتور ..

تناول يدها وقبض عليها وهو يتأمل وجهها الرقيق ثم قال :

- هل ستذهبان إلى الحدائق ؟.

- .. نعم .. لماذا تسأل ؟..

- هل تسمحين لى بمرافقتكما ؟.

- بالتأكيد ..

استشعر السرور فى نبرات صوتها ، وعلى الفور تناول معطفه وساعدته إيما فى ارتدائه وقالت :

– هل ستترك لهم رسالة ؟..

– لا داعى لذلك ..

كانت المرة الأولى التى يغادر فيها العمل بهذه الصورة وشعر أنه كالتلميذ الذى يهرب من مدرسته .. إنه يترك العمل من أجل النزهة مع طفلة صغيرة ..

★ ★ ★

كان يوماً رائعاً أشرقت شمسه وهلت فيه روائح الربيع بعد الشتاء القارس البرودة ، وساعد ذلك فى تهيئة الجو الملائم لأن يدرك كل منهما حقيقة مشاعره ..

أخذت أن تركض بمرح فوق الأعشاب وهى فى غاية السعادة والمرح ، أما مايكل فكان يسير مع إيما وهما يضحكان ويتحدثان ويشعران بأقصى درجات السعادة ..

تحدثت إيما عن كل شىء بمرح وبدون تكلف أو تحفظ ..

وراح مايكل يراقبها وهى تسير بخفة ونشاط بجسدها الرشيق وثيابها البسيطة المتناسقة وشعرها الكستنائى الجميل وبشرتها الرائعة ..

لقد شعر بأن فيها شيئاً ما سحره تماماً ..

انها المرة الأولى التى يشعر فيها بمثل ذلك ..

كانت إيما قد علمت أن زوجها سيعود إلى الوطن بعد رحلته الطويلة إلى الخارج وسوف يستقر أخيراً ، كان لا يعود إلا لمدة شهرين كل عام ، وظن مايكل انها سعيدة لذلك وقرر أن يودعها الوداع الأخير فقد انتهت علاقتهما عند هذا الحد ..

ألم تكن علاقة بين طبيب ومريض ؟ لقد شفى المريض وغادر المستشفى هو وأهله ..

★ ★ ★

ولكن هذا لم يكن اللقاء الأخير بينهما ، فقد عادت إيما إلى لندن مرات ومرات وتعددت اللقاءات وكانت تستغرق كل مرة فترات أطول ، وبدأت تزور لندن كل بضعة أيام من أجله هو ..

اكتشف انها تعشق الموسيقى مثله فدعاها للذهاب معه إلى إحدى الحفلات الموسيقية وهناك وجد انها تشعر بالنشوة البالغة خلال العزف ..

راقته هذه الظاهرة وأخذ يراقبها وهى تشعر بالاثارة والجذل ..

تناولا العشاء سوياً واستمع إلى آرائها التى دلت على النضج وعمق الثقافة وشعر بأنها بالغة الرقة والحساسية ..

وبدأ مايكل جويس يشعر بحاجته الشديدة إليها وندم على كل ما فاته من سنوات الشقاء والعذاب ..

بعد انتهاء الحفل صحبها فى سيارته إلى منزلها بالريف ..كانت المسافة طويلة تبلغ حوالى ثلاثين أو أربعين ميلاً ..

قالت له بلهجة اعتذار ..

– اننى أسفة .. لقد جعلتك تتحمل كل هذه المشقة من أجلى ، كان من الواجب أن أقضى ليلتى فى لندن ولكن لا يمكنني أن أترك أن بمفردها .

– اننى سعيد بذلك لأننى سأقضى معك وقتاً أطول .. أرجو أن نلتقى فى أمسيات أخرى ..

قال بإخلاص :

– إن هذا يسعدنى تماماً ..

أخذ مايكل يتطلع حوله ثم قال :

– أعتقد أننا الآن على مقربة من منزلك فأرجوا أن ترشدينى إلى الطريق .

نظرت إيما إلى الطريق وطلبت منه أن يبطئ قليلاً من سرعة السيارة ثم قالت :

– نعم .. لقد اقتربنا .. فهذا هو المعبد ..

– أى معبد ؟.

– إنه معبد قريب أراه دائماً من غرفتى وقد سبب لنا الكثير من المشاكل العائلية .

- ولماذا ؟.

- هيا بنا إليه وسوف تعرف لماذا ..

توقف مايكل أمام المعبد ثم سار مع إيما قليلاً حتى بلغا معبدا صغيرا من الحجر شيد وسط الحقول .. يقف شامخاً تحت ضوء القمر ..

استندت إيما بظهرها إلى باب المعبد المصنوع من خشب البلوط وقالت :

- تخيل أننا نسمع صوتاً يشبه صوت الأرغن عندما تهب الريح من جهة المعبد .. فهى تدخل ثم تخرج من الناحية الأخرى محدثة هذا الصوت ..

ثم ارتعدت قليلاً وقالت :

- اننى لا أعرف حقيقة مايحدث ولكننى أشعر بالراحة والسرور عند سماع هذه الأصوات رغم ان بعض الناس لا يحبونها ، وقبل أن أتزوج فيليب كانت كات تطلب منه بيع المنزل وعندما قتل زوجها وجاءت لتقيم معنا كررت هذا الطلب مراراً وأثارت المشاكل وادعت ان كلاى يعزف على الأرغن فيما يشبه صراخ الشياطين !

كان يراقبها وهو يشعر بالسعادة البالغة وقال :

- من هو كلاى ؟..

- انه البستانى وهو يحب العزف على الأرغن ولذلك تريد كات أن نطرده ..

فسألها مايكل :

- ولماذا ؟ هل يترك عمله بالحديقة من أجل العزف ؟..

قالت ضاحكة :

- كلا ..ولكن كات تقول انه إذا ترك العمل فلن يعزف أحد على الأرغن ولن تسمع هذه الأصوات الرهيبة التى تأتى من ناحية المعبد ..

- ومن هى كات ؟..

- انهاشقيقة زوجى التى رأيتها يوماً معى فى المستشفى .

- نعم ..

تذكر تلك المرأة التى رآها مع إيما عندما ذهب إليها ليبشرها بنجاح العملية أخذت إيما تتطلع إليه ثم قالت :

- يبدو أنك تنسى الناس الذين تقابلهم بسرعة .. ان هذا شىء يدعو للقلق ..

قال بهدوء :

- كلا . إننى أذكر فقط من أحب أن أذكرهم ..

هبطت إيما درج المعبد ومن خلفها مايكل حتى وصلا إلى السيارة ،

وعندما وقفا بجوارها أشارت إيما إلى بقعة قريبة وقالت بلهجة فاترة :

- هذا هو منزلنا يادكتور ..

- أحقاً !!.

وظلا واقفين بجوار السيارة ولا يريد أحد منهما ان يدخل إليها ..

وأخيراً تنهدت إيما وقالت بنبرات مرتعشة :

- أريد أن أسألك عن شيء ما ..

- وما هو ؟..

- هل أنت مطلق ؟..

فقال على الفور :

- كلا .. ان ديانا ترفض الطلاق ..ولكن لماذا تسألين ؟..

- قالت إيما :

- لا شيء .. كنت فقط أريد أن أعرف الحقيقة ..

- ثم توقفت عن الحديث ..وبعد لحظات قالت :

- لقد تأخرنا كثيراً ويجب أن نعود حالاً .. هيا بنا ..

- توقف مايكل بالقرب من الممر المؤدى إلى الباب ليودعها ولم يحاول أن يصحبها حتى الباب .. كان فراقهما جامداً ..

★ ★ ★

اتصل بها فى صباح اليوم التالى حتى يعرف منها الموعد التالى لحضورها ، وقال إنه سيقوم بتنظيم وقته وعمله بطريقة تمكنه من لقائها دائماً بحيث لاتتعطل أعماله .. قالت له إنها تخشى أن يتأثر عمله وتتعارض مقابلاتها له مع مصالحه ، ولكنه نفى ذلك وكان يشعر فى قرارة نفسه بأن علاقته بها أهم كثيراً من العمل ، وأنه لايهتم بالعمل الآن كما كان يفعل سابقاً وأصبح اهتمامه الأساسى هو لقاء إيما ..

أصبحت إيما هى شغله الشاغل ليل نهار .. يفكر فيها فى كل لحظة ويتخيلها وهى تطلق ضحكاتها المرحة الرائعة بعد أن يذكر لها إحدى الطرائف المتعلقة بعمله ، كما كان يذكرها وهى شديدة القلق عليه بعد أن يحدثها ببعض متاعبه وهمومه ..

لقد غيرت إيما كثيراً من طباعه وعاداته ..كان دائماً حزيناً مهموماً منطوياً أما الآن فقد أصبح ثرثاراً يكثر الضحك ولا يحتفظ بأى سر لقد نجحت إيما فى تغييره تماماً ..

كان يجد فى صحبتها السلوى والعزاء والراحة والسعادة ..

وهكذا كانت العلاقة بينهما تزداد قوة كل يوم ..

أما هى فكانت سعيدة لصداقتها بهذا الإنسان المثقف المهذب الرقيق الذى يشاركها الميول والاهتمامات ..كانت سعيدة بذهابها معه إلى المسارح والحفلات الموسيقية وبالاستماع إلى أحاديثه الرائعة التى تدل على الثقافة العالية ..

ولكن ..

ان قلبهـا يميل إليه هو وليس لميوله أو ثقـافته فقط ..انهـا تنجذب إلى شخصـيته ..انها تحبـه وهو أيضاً ..كان يدرك أنه أصبح يحـبها بكل كيانه ..

كانا يهربان مـن هذه الحقيقة ولا يحـاولان مواجهتـها .. فكلاهما متزوج ..وقـررا أن يتركا الأمور تسـير بدون محاولة منهـما للتدخل فى سيرها ..

كانا يقنعان انفـسهما بأن صداقتـهما عادية وان لقاءاتهمـا لاغبار عليها ويشعران بالسعادة البالغة فى هذه اللقاءات ..

★ ★ ★

وأخيراً جاء اليوم الذى فاض فيـه الكيل بكل منهما ، ولم تعد لهما طاقة على الصبـر والكتمان .. غادر مايكل غـرفة الاستشارة متـجها صوب قـاعة الاستـقبال وهناك وجـدها جالسة فـى انتظاره .. كانت ترتدى ثوباً رائعاً أزرق اللون وتصـغى بكل جوارحها إلى مـوسيقى باخ ..

وقف برهة يتأملها وينصت إلى هذه الموسيقى الرائعة . إنها نفس الاسطوانة التى كانـت تستمع إليـها أن يوماً ثم أوقـفتهـا وقالت (يا إلهى .. سوف أبدأ كل شـىء من جديد

دخل إلى الحجرة وقال لها

- إننى أسف .. لقد كان لدى عمل كثير .

أوقفت إيما الاسطوانة ونظرت إليه بفرح وقالت :

- لا عليك .. لقد أعددت لك مفاجأة ..

- وما هى ؟..

وضعت اسطوانة اخرى فى الجهاز وقالت :

- انها اسطوانة بصوت آن . لن تصدق انها هى .. انها تغنى أغنية : سيدتى .. هيا إنهضى لكى تسيرى ..

أصغى مايكل إلى المقدمة الموسيقية ثم قال :

- ان المقدمة رائعة .. ترى هل هى آن التى ستغنى حقاً ؟ ان الأمر يبدو كما لو كان من عمل مغن محترف ..

- كلا ... انها هى آن .. عليك أن تنصت إليها .

سمع صوت آن خافتاً وهى تقول (سوف أبدأ كل شئ من جديد) ثم سمع صوت الموسيقى وصوت ضحكاته العاليه .. قالت إيما :

- كان لابد من حذف هذه الأجزاء .

ثم راحت تعزف على البيانو بمهارة بينما تذكر هوكلمات الأغنية ..

(سيدتى . هيا انهضى لكى تسيرى .

سيدتى .. هيا لكى تتحدثى .

سيدتى .. هيا لكى تسيرى وتتحدثى معى .

سوف أمنحك مفاتيح قلبى ولن نفترق أبداً ..

أخذت إيما تعزف وهى تتحدث عن طفلتها المحبوبة ..

- لقد تعلمت أن تحفظ جيداً خلال محنتها وأصبحت موهوبة فى التعلم بالسماع ولكنها توقفت عن العزف فجأة عندما سمعت سؤال مايكل :

- إيما .. هل تحبين زوجك ؟..

امتقع وجهها وراحت تتطلع إليه فأعاد السؤال مرة أخرى ..

- هل تحبين زوجك ياإيما ؟..

قالت بلهجة جافة :

- اننى لا أعرف كيف أجيب على هذا السؤال ..

- ولكنك تعلمين لماذا أسألك ..

هزت رأسها وقالت بهدوء :

- نعم ..

- نهضت من مقعدها وسارت حتى وقفت أمام النافذة وراحت تحدق فى الفضاء ثم استدارت إليه وعلى وجهها دلائل الألم وقالت

- مايكل ..ان الأمر صعب للغاية ولا أعرف ماذا أفعل..

شعر مايكل بأنها تعانى الكثير كما يعانى هو تماماً .

استطردت قائلة :

– فى الحقيقة .. لقد قضينا فترة طويلة أنا وفيليب فى هدوء واستقرار وكان يعاملنى بغاية الرقة .. ولم أتخيل أننى سأتعرض لهذا الموقف .

شعر بأنها تقر بالأمر الواقع فهتف من أعماقه ..

– إيما .. اننى أحبك ..

اضطربت ملامحها وتقلصت شفتاها وهى تقول له :

– مايكل .. كان يجب أن تخفى مشاعرك حتى نتمكن من مواصلة اللقاءات ..

– لم يعد باستطاعتى أن أبقى الأمر فى طى الكتمان أكثر من ذلك

ورغم أنها كانت تعلم ذلك وتشعر به فى أعماقها إلا أنها قالت

– كلا يا مايكل .. كان يجب أن نكتم مشاعرنا ..

– كنت أريدك أن تعرفى ..

ابتسمت بخجل وقالت

– لقد كنت أعرف كل شئ يا مايكل ..

انفجرت ثورة حبه قوية جامحة فقال :

– إيما .. لقـد كـابدت عناء لا قبـل لى به وحاولت أن أكـتم الأمـر طويلاً وأقنع نفسـي بأن الطريق مـسـدود أمـامنا ..ولكن كل ذلك لم يزدنى إلا حباً لك .. كنت أتمنى أن يقع أى شئ ليس فى الحسبان ..

توقف قليلاً ثم قال هامساً :

– ورغم ذلك كنت أشعر أن هذا الشئ لن يحدث أبداً ..

فقالت بأسى :

– من الواضح أن الأمورسـتظل هكذا ولن يحدث شئ غير مـتوقع كما قلت .. ان كلينا لا يملك حريته ولـن يملكها فماذا يمكننا أن نفعل ؟ لاشئ ..

كان هذا الكلام شديد القسوة فقال مايكل بأسى

– هل تعنين أننا لن نلتقى بعد اليوم يا إيما ؟ لا تقولى ذلك ..

قالت بحزم :

– نعم ..

ثم اتجهت نحو الباب فى خطوات متثاقلة فقال بيأس :

– سوف يكون فراقك مؤلماً يا إيما ولن أستطيع تحمله

نظرت إليه بحزن وقالت .

– وأنا أيضاً يا مايكل ..

وتساقطت دموعها ثم قالت .

- سوف يكون فـراقاً أليمـاً ..لم يشـعر مـايكل بنفسـه وهو يحيط خصرها بذراعه ويقبلها للمرة الأولى ..

وما هى إلا لحظات حتى أحاطته إيما بذراعيها بشوق ..

* * *

الفصل الرابع

وهكذا كان هذا اللقاء بداية لعلاقة حميمة لا يمكن أن تنتهى لأى سبب من الأسباب رغم أن إيما قررت أن تنهى الأمر تماماً ..

استمرت العلاقة بينها وكثرت اللقاءات ..

كان كلاهما حريصاً على ألا تتطور العلاقة بينهما إلى ارتكاب الإثم .

فإيما طاهرة النفس تمقت الإثم والخيانة ولا تتخيل نفسها تفعل ماتفعله الخاطئات من النساء ولا ترضى أن تنحدر إلى هذه الهاوية ..

كانت يقظة الضمير تحاسب نفسها دائماً ..

عندما فكرت فى زوجها وجدت أنها غير ناقمة عليه ، بل شعرت بالتعاطف معه .. فقد أخبرها بأنه سوف يصفى أعماله بالخارج ليعود إلى انجلترا ويستقر بها ليرعى طفلتهما ، وشعرت بأنها ممزقة بين عاطفتين ..عاطفة الأمومة والاستقرار مع زوجها وعاطفةالحب المدمر نحو حبيبها مايكل .

أما مايكل فقد كان يريدها معه فى كل وقت ولا يطيق الابتعاد عنها

أبداً .. كان يحبهـا لدرجة لا يستطيع معها أن يعيش بدونهـا مهما حدث ومهما بذل من تضحيات ..

ولكن ماذا يـفعل أمام صـفاتهـا المثاليـة وأخلاقهـا السامـية ؟ إن أخلاقها تمنعها من التفكير فى إيذاء أى إنسان وخاصة زوجها الذى وصفته بالرقة والتسامح ، فلا يمكن أن يناقشها فيليب فى ذلك ..

انه يحبها كما هى بمثلها .. بأخلاقها بكل ما فيها يحبها ..

ان كل مافيها واضح نقى .. برئ ..وجهها .. عينيها .. أخلاقها .

وكل ما فيها شفاف .. رقيق .. ووجهها .. أناملها .. عيناها ..

بدا الأمر شديد التعقيد فلم يحاولا مناقشته بعد ذلك وتركا الأمور تسير بدون أى محاولة للتدخل فى سيرها رغم أن الأمور كانت تزداد حرجاً وتأزماً يوماً بعد يوم ..

كـانت عـلامـات الحزن والأسـى تبـدو واضـحـة على وجـه إيما ، وظهـرت الخطوط الزرقاء أسـفل عينيـها مـمـا يدل على الأرق الذى كانت تكابده فى لياليها والصراع الذى يدور بنفسها ..

شعر مـايكل بالحزن والأسى تجاه حـبيبتـه والضيق والحنق على نفسـه لفشله فى مد يد المساعـدة إليها .. كـيف يتركها هكذا تتـعذب بسببه ؟!.

وأخيراً قررت إيما أن تنهى عذابها وأن تكتب إلى زوجها بكل شئ

وتطلب منه أن يمنحها حريتها..لم تجد سبيلاً للخلاص من عذابها إلا ذلك ..

قضت ساعات طوالا وهى تحاول الكتابة إلى زوجها بالحقيقة الأليمة وتخشى أن تصدمه صدمة تقضى عليه ، وبعد أن انتهت جاءت إلى مايكل ومعها الخطاب ..

قدمته إليه وراحت تراقبه وهو يقرأ ..

وبعد أن انتهى أعاده بدون أن يعلق بكلمة واحدة ، فأدركت أنه يشعر بما تشعر به إنها نذالة منها وقسوة تجاه هذا الزوج الذى يحبها ولا يثق فى أحد سواها .

قالت :

– لا يمكننى أن أرسل إليه بهذا الخطاب ..

أخذ يتفحصها بعينيه السوداوين وكأنه يحاول النفاذ إلى قلبه بنظراته العميقة ، وشعر فى هذه اللحظة بأن حبه لها قد تضاعف أضعافاً ..

قال بهدوء :

– اننى أقدر ذلك ..

فقالت بصوت متهدج :

– ان هذا الخطاب سوف يحل لنا مشاكل كثيرة ولكننى للأسف لا

أستطيع إرساله ولا أتخيل تلك الصدمة المروعة التى سيشعر بها دون شك كما أننى بذلك سوف أضر بابنتى الحبيبة آن ..

– نعم ..

كان مايكل يعلم أن إيما لا تعرف معنى الخيانة ولا يمكن أن تنزلق إليها سواء معه أو مع زوجها فماذا يفعل ؟.

لابد أن هناك حلا لهذه المعضلة ..

قالت إيما

– وأنت أيضاً يجب ألا تفكر فى رفع دعوى طلاق وتلوث اسمك الناصع وتجلب الكثير من الضرر على نفسك ..

كانت تقول ذلك وهى تعلم جيداً أنها مجرد كلمات فى الهواء لن تلقى أى رد فعل من مايكل الذى لا يرى سواها فى الدنيا كلها ..

قال لها مايكل :

– هل تتخيلين أننى أهتم بأى شئ من ذلك ؟..

قالت على الفور وكأنها تؤجل سماع رأيه النهائى :

– ولكننى أهتم به أيها الحبيب .. أنا التى دفعت بك إلى هذه الهاوية..

– كلا يا إيما .. اننى لا أهتم بكل ذلك .. لا شىء يهمنى فى الدنيا سواك ، فأرجو ألا تضعى هذه الأمور فى حسبانك وأن تتخذى

قرارك بلا أى مؤثرات من جانبى ..

وبدأت إيما مواجهة المشكلة .. قالت :

– وهناك أيضاً أن .. اننى لا أستطيع التخلى عنها .. لا يمكننى ذلك أبداً ..

هز رأسه موافقاً ..

مزقت الخطاب بينما كان مايكل يراقبها وهو يعلم أنها لن تستطيع أن تزج بآن أو به فى هذه المشاكل وتثير حولهما الفضائح فى المحكمة .. أنها لا يمكن أن تعرض من تحبهم لهذه الفضائح التى سيعلم بها الجميع على الملأ وسوف تظل مخلصة لزوجها فهى لا تعرف إلا لغة الإخلاص والوفاء ..

قالت بصوت حزين :

– لا حيلة لنا فى إنهاء علاقتنا فلا داعى لأن نواصل خداع أنفسنا ..

وأخذت تتطلع إلى الفضاء بحزن شديد ..

قالت :

– نعم يا مايكل .. لم يعد هناك خيار فى إنهاء هذه العلاقة .. لابد أن ينتهى كل شىء الآن ..

هم بأن يقترب منها ولكنها أوقفته بحركة من يدها وهتفت

بضراعة :

- أرجوك .. لا تحاول الأقتراب مني .. يجب أن ينتهي كل شيء تماماً ولا يرى أحدنا الآخر بعد ذلك أبداً ..

ثم غادرت الحجرة بسرعة دون أن تلتفت إليه ..

سمع خطواتها وهي تسرع إلى الباب الخارجي ..

ولم يرها بعد ذلك ..

★ ★ ★

الفصل الخامس

غرق مـايكل جويس بعـد ذلك فى عمله تمامـاً حتى ينسى غـرامه الضائع وقـرر أن يغلق أبواب قلبه تماماً ويفـعل كل ما بوسعـه حتى ينسى ..

واصل العمل ليـلاً ونهاراً كى لا يدع فرصـة للذكريات التى تنهش قلبه .

أصبح يتـعامل مع هذا الأمر كـما لو كان مرضـاً أصابه ولابد من العلاج حتى يبرأ منه ..

ولكن هيهات .. لـقد أصبحت حيـاته خاوية تماماً لا قيـمة لها ولا معنى .. غابت عنها البهجة والسعادة إلى الأبد فلماذا يعيش ؟..

وعلى العكس فقد ازدادت صورتهـا وضوحاً فى ذهنه وكأنه يراها ماثلة أمامه فى كل لحظة وفى كل مكان ..

فى الطرقات .. فى المطاعم والفنادق .. فى المحطات .. فى كل مكان يراها .

فى صـباح أحـد الأيام وجد عـدداً من الخطابات التى وصلت تواً

وكان يهم بفتحها ولكن جرس الباب الخارجى رن فأدرك أن أول العملاء قد وصل ..

هم بالنزول لفتح الباب ولكنه وجد سكرتيرته مس مارش قد سبقته وقبل أن تصل إلى الباب لمحته فتبادلت معه تحية الصباح بوجهها البشوش وقالت :

– ان ما حدث لمسز رايت كان شيئاً مولماً ..

شعر كأن لساناً من اللهب أحرقه فجمد فى مكانه وقال :

– مسز رايت ؟..

كان يتمنى أن تكون السكرتيرة قد أخطأت أو يكون هو الذى أخطأ فى سماع الاسم ولكن مسز مارش قالت :

– نعم .. هل نسيتها ؟ إنها والدة الطفلة أن التى أجريت لها جراحة وأعدت إليها الإبصار .. ظل مايكل جويس جامداً فى مكانه حتى فتحت السكرتيرة الباب ودخلت عميلة بدينة إلى حجرة الانتظار ..

مرت به هذه اللحظات المروعة كأنها أعوام عانى فيها مرارة الانتظار ، وعندما تطلعت إليه مس مارش دهشت لأنه لم يزل واقفاً عند رأس السلم وشعرت بالانزعاج وهى تسمع نبرات صوته المتحشرج

سألها

– ماذا حدث لمسز رايت ؟

– مسز رايت .. نعم ..لقد سقطت من إحدى النوافذ فماتت على الفور !!..

شعر كأن ضربة هائلة أصابت كيانه فغمغم قائلاً :

– آه ..

مضت مس مارش فى طريقها إلى مكتبها بينما شعر مايكل أن الأشياء تتراقص أمام ناظريه وبأنه يسقط من ارتفاع شاهق ثم تتلقفه دوامة عاتية .

قبض على سياج الدرج بقوة حتى لا يسقط ثم أغمض عينيه ..

وبعد قليل راح ساقيه جراً حتى وصل إلى حجرته فدخلها وأغلق الباب خلفه ..

★ ★ ★

ذهب مايكل جويس إلى بلدة حبيبته الراحلة إيما رايت حتى يحضر جلسة التحقيق والتي ذكر فيها أن الحادث وقع فى السادسة مساء ، وفى هذا الوقت لم يكن بالمنزل سوى ابنتها آن وخادمة تدعى دوريس بوند ..

شهدت الخادمة أن مسز هوارد زارت المنزل بعد ظهر يوم الحادث ..

راح مايكل جويس يتطلع إلى القاعة التى عقدت فيها جلسة

التحقيق .. كانت دوريس بوند تقف في مكان الشهود بينما رأى سيدة أنيقة ترتدى الملابس السوداء تجلس في الصف الأول وتساءل :

– هل هي كات هوارد ؟.

وكان هناك رجل بدا أنه طبيب الأسرة بالإضافة إلى سيدة ربما كانت هي الطاهية ، ثم عدد كبير من الجمهور ينصتون باهتمام إلى وقائع الجلسة ..

نظر المحقق إلى الأوراق الموضوعة أمامه ثم قال للوصيفة :

– هل رأيت مسز هوارد أثناء انصرافها من المنزل ..

– نعم .. رأيتها وهي تقود سيارتها مبتعدة عن المنزل..

– متى كان ذلك ؟.

– في تمام ساعة السادسة ..

نطقت دوريس بوند بهذه الكلمات بلهجة جدية ..

سألها المحقق قائلاً :

– ثم سمعت بعد نصف ساعة صوتاً ما كأنه صوت أحد الأشخاص ؟.

– نعم .

– شكراً لك يامس بوند ..

ثم اتجهت إلى مقعدها بجوار المرأة التى يظنها مايكل الطاهية ..

أشار أحد رجال الشرطة للسيدة الأنيقة التى ترتدى الملابس السوداء بالنهوض فذهبت وتقدمت بثقة إلى منصة الشهود ..

كانت هى كات هوارد ..

وضعت يدها فوق الكتاب المقدس وأقسمت أن تقول الحق ..

وتذكرها مايكل .. فهى التى جاءت مع إيما عقب إجراء الجراحة لابنتها آن ..

سألها المحقق عن اسمها وعنوانها فقالت :

– أقيم الآن فى فندق أركاديا ..

– ما هى صلة القرابة بينك وبين مسز رايت ..

– كانت زوجة أخى فيليب ..

سألها المحقق :

– متى رأيتها على قيد الحياة لآخر مرة ؟..

– حوالى الساعة السادسة من مساءاليوم الذى توفيت فيه وقضيت معها ساعة تقريباً ..

– هل كنتما على موعد ؟.

قالت مسز هوارد :

- كانت تعلم اننى سأمر بها خلال هذه الفترة ولكن لم يكن بيننا موعد محدد ..

- فى ذلك اليوم هل كانت تتوقع حضورك ؟.

- ليس بصورة قاطعة لأننى تعودت زيارتها كلما كنت قريبة من منزلها ، فبعد مقتل زوجى أصبحت أزورها بصفة دائمة .

- ما الذى حدث عند زيارتها ؟..

قالت بلا اكتراث :

- لا شئ . لا.شئ على الاطلاق ..

- ألم تتحدثا سوياً ؟..

- بالطبع ..كانت أحاديث عامة .

- هل بدا عليها أنها تعانى من الضيق والاكتئاب ؟.

- على العكس ، فقد كانت تبدو سعيدة للغاية وهى تترقب عودة زوجها إلى أرض الوطن بعد غياب طويل ..

تململ مايكل جويس فى مقعده ونظر إلى كات .

كان واثقاً أنها تكذب ولكنها رغم ذلك واجهت المحقق بنظرات ثابتة وكانت متمالكة لأعصابها تماماً ..

سألها المحقق :

- هل كانت هناك أى دلائل للقلق أو التوتر على وجهها ؟..

- كلا .. كانت فى حالة طيبة للغاية ..

– ألم يكن فى سلوكها شئ غير عادى ؟..

قالت بثقة :

– كلا .. أنا واثقة أنها كانت فى هذا اليوم بخير ، ولكننى كنت أعلم من قبل أنها شديدة الخوف من الأماكن المرتفعة ..

قال المحقق :

(شديدة الخوف من الأماكن المرتفعة) ..

– هل قالت لك ذلك يوم الحادث ؟.

– كلا ..

– ولماذا تذكرته الآن ؟.

قالت كات بدهشة مصطنعة لم تخف على فطنة مايكل :

– أعتقد أن هذا هو التفسير الوحيد لسقوطها من النافذة ..

قام المحقق بتدوين هذه الملحوظة فى الورق الموضوع أمامه ثم سألها :

– عندما تركتها ..ماذا كانت تفعل يا مسز هوارد ؟.

– كانت على وشك ترتيب الدرج الذى تضع فيه جواربها ..

نظر إليها المحقق نظرة طويلة ثم قال :

- أشكرك يا مسز هوارد ..

وعلى الفور ابتعدت كات عن منصة الشهود ، فلمح مايكل جويس شيئاً صغيراً فانحنى بسرعة لالتقاطه دون أن تشعر به ..

كان مايكل يشعر بالضيق والنفور من هذه المرأة وبأنها تخفى شيئاً هاماً ..فبالرغم من إجاباتها السريعة على الأسئلة وثقتها بما تقول إلا أن ذلك لم يمح الشك من نفسه ، بل إنه الآن صار مقتنعاً بأن لديها شيئاً هاماً .

أخذ يفكر فى هذه المرأة لأول مرة ..

تذكر أنها كانت على صلة وثيقة بإيما الحبيبة ..كانت تذهب إلى منزلها كثيراً ، ولاشك أنها لاحظت إنقلاب أحوال إيما خلال الفترة الأخيرة ..تلك الفترة التى أعقبت فراقهما ، فمن المؤكد أنها كانت تعانى من التوتر العصبى والضيق ، ولكنها رغم ذلك ذكرت فى التحقيق أنها كانت سعيدة للغاية لقرب عودة زوجها إلى أرض الوطن ..

يبدو أنها عمدت إلى تضليل العدالة ! ولكن لماذا فعلت ذلك ؟..

هناك تفسيران لهذا الأمر ..

الأول أنها تريد لإيما أن تستريح فى قبرها وتحول دون إجراء المزيد من التحقيقات والمناقشات ..وفى هذه الحالة فإنها صديقة مخلصة تستحق كل تقدير على وفائها ولباقتها ورقة مشاعرها ..

ولكن التفسير الثانى يناقض الأول تماماً ..

فقد تكون هناك أشياء تعلمها وتحاول التستر عليها ، فما هى هذه الأشياء ؟.

عندما نهضت أن المسكينة من مقعدها متجهة إلى منصة الشهود سرت فى القاعة أصوات خافتة تعبر عن الرثاء لهذه الطفلة المسكينة ..كانت أن ترتدى ثوبها المدرسى الأزرق وقد بدت نحيلة الساقين هزيلة الجسد تترنح فى سيرها ..

قال لها المحقق برفق :

– سوف ألقى عليك بعض الأسئلة وأرجو أن تجيبى بكل صراحة . هل يمكنك ذلك ؟..

غمغمت قائلة بنبرات حزينة :

– نعم ..

– متى رأيت والدتك لآخر مرة ؟.

– قبل أن أذهب إلى فراشى ..

– وأين كانت فى ذلك الوقت ؟.

– كانت فى حجرتها ..

قال المحقق :

– هل دخلت إلى حجرتها وجلست معها ؟.

– نظرت إليه بعينيها الزرقاوين الصافيتين فبدت كعينى إيما تماماً ثم أجابت :

– كلا .. لقد ذهبت لألقى عليها تحية المساء ..

– وهل فعلت ؟..

– نعم ..

– هل وجدتها فى حالتها الطبيعية المعتادة ؟.

اختلجت أهداب آن .. قليلاً ثم قالت بلهجة مقتضبة :

– نعم ..

– حسناً يا آن .. هل كان هناك شخص آخر بالحجرة عدا والدتك ؟.

بدا التردد على وجه الطفلة ثم عضت شفتها السفلى وكأنها على وشك البكاء وراحت تبحث عن عمتها حتى عثرت عليها فى الصف الأمامى ..

كان مايكل جويس يراقبها مراقبة دقيقة ..

رأى كات ترفع منديلها إلي عينيها وفى هذه اللحظة هزت رأسها بسرعة علامة النفى .. كانت حركة سريعة للغاية لم تلحظها عين ولكن الطفلة التقطتها على الفور فقالت بصوت واضح :

– كلا ..

– ألم تحدث أية أحداث غير مألوفة يا أن ؟.

– كلا ..

وبعد قليل شكرها المحقق وطلب منها الانصراف ..

لم تغفل عينا مايكل عن مراقبة الطفلة لحظة واحدة .. ذهبت أن لتجلس بجوار عمتها كات ثم دمعت عيناها ..

عقب ذلك تم استدعاء طبيب الأسرة الذى ذكر التفاصيل الفنية .

أدرك مايكل أنه سمع كل مايريد وقرر أن يتسلل خارجاً من القاعة حتى لا تتعرف عليه أن الحبيبة ..

استقل سيارته وعاد إلى لندن وهو يستعيد فى ذهنه كل ما سمع ورأى فى القاعة سيطرت عليه مشاعر الحزن الفاجع والخسارة الفادحة .. لقد فقد بالفعل الحب الوحيد الذى دخل حياته ..

كيف حدث ذلك ؟.

أنه لا يتخيل أن تموت إيما الضاحكة الرقيقة الحبيبة بهذه الطريقة البشعة ..ياله من شئ رهيب أن تناقش تفاصيل حياتها على الملأ وسط هذه القاعة المليئة بالفضوليين ..ولكنها الآن فى راحة بعيداً عن كل هذه المشاكل والأحزان التي يعانيها وحده .. لكن لماذا ؟ .. وكيف ؟.

لم يكن مقتنعاً بما حدث ويشعر أن فى الأمر شيئاً خفياً ..

نعم .. لقد تذكر ..

أنها لم تكن تخشى الاماكن المرتفعة أبداً ، وهو يذكر الآن كيف كانت تنحنى فوق الصخور الشاهقة وتراقب الأمواج خلال ارتطامها بالشاطئ .. كان ذلك على ارتفاع مئات الأقدام .. نعم إنه عرفها جيداً وقضى معها أوقاتاً طويلة ولم تبدو منها أية إشارة على الخوف من الأماكن المرتفعة ..

على العكس ..كانت تبدو فى غاية النشوة والسعادة !!.

فهل يمكن أن تتغير خلال هذه الفترة القصيرة ؟..

أما فكرة الانتحار فهى غير مقبولة على الإطلاق ..

لقد واجهت الموقف بشجاعة وضحت بحبها من أجل إسعاد زوجها وتأهبت للقائه وعزمت علي أن تتقبل حياتها معه برضى ..

كانت تضع طفلتها فى المقام الأول من اهتماماتها ، فهى حبها الأكبر ومن أجلها تقبلت ظروفها وضحت به حتى توفر للطفلة البيئة الأسرية الصالحة ..

فمن يصدق أن امرأة تتمتع بكل هذه المشاعر النبيلة والخلق القويم يمكن أن تنحرف عن الطريق ويتغلب عليها اليأس فتنتحر وتترك هذه الطفلة الحبيبة يتيمة وتصدم زوجها هذه الصدمة المروعة ؟..

ان هذا شيء مستحيل .. مستحيل . لا يصدقه عقل ..

فبرغم أنها تركته للمرة الأخيرة وهى حزينة كسيرة الفؤاد إلا أنها

كانت قوية العزم تفكر فى ابنتها أن وفى مستقبلها وسط أسرة سعيدة متماسكة .

لابد أن هناك شيئا حدث بعد ذلك ..

عشرات الأسئلة جالت بذهنه خلال هذا اليوم دون أن يجد لها إجابة .. ألغى مواعيد العيادة وأغلق أبوابها وراح يتذكر كل شئ عن إيما ..

طالع فى صحيفة المساء كل تفاصيل جلسة التحقيق وبجوارها صورة حبيبته الراحلة كأنها تتطلع إليه بعينيها الجميلتين الصافيتين وأخذ يقارن بينها وبين آن .. انها صورة منها .. وتذكر سؤال المحقق للطفلة عن وجود أحد مع أمها ليلة الحادث والاشارة الخفية التى صدرت من كات ثم نفى الطفلة لوجود أحد ..

كان واثقاً أن الطفلة تخفى شيئاً هاماً .. فما هو ؟ وماذا تعرف كات هوارد ؟..

فى هذه اللحظة سمع طرقات على الباب فانتفض ..

وجد الخادمة تسأله عما إذا كان سيتناول طعام العشاء بالمنزل ..

فقال لها :

– كلا .. سوف أتناوله فى الخارج ..

وعلى الفور خطرت له فكرة طارئة ..

لقد سمع كـات هوارد تقول للمحقـق أنها مقيمـة بفندق أركاديا .. فلماذا لا يذهب إلى هناك ؟!..

لابد أن يعرف سر مصرع إيما ..

★ ★ ★

الفصل السادس

قـرر مـايكل جـويس أن ينفـذ خطته فـوراً ..ولم يكن قـد فكر فى الطريقة التى سيبدأ بها الحوار مع كات هوارد ..

ولكنه وجد طريقة سهلة للغاية للحديث معها ..

كان الفندق يتميز بالصخب الشديد والضوضاء ..

تقدم إلى موظفة الاستقبال الحسناء وسألها :

– أين يمكننى العثور على مسز كاترين هوارد ؟.

قالت دون أن تنظر إليه :

– الحفلة فى حجرة رقم ٢٩ بجناح مسز ديفا ..

فأدرك أنها لم تسمعه جيداً بفعل الضوضاء الشديدة فقال لها :

– الحفلة ؟.

فنظرت إليه وقالت :

– عفواً ياسيدى .. لقد حسبتك أحد المدعوين إلى الحفلة .

فقال على الفور :

– نعم .. اننى أريد الحفلة ..

.. يمكنك الصعود إلى الطابق الثانى ..حجرة رقم ٢٩..

★ ★ ★

وجد مايكل الحجرة غاصة بعدد من المدعوين من الرجال والنساء وهم يثرثرون ويضحكون وتتعالى أصواتهم بالصخب والضجيج ..

كان الخدم يتجولون بينهم وهم يحملون أقداح الشراب ..

تسلل مايكل جويس بحذر وسط هذه الضوضاء ..

وفى نفس اللحظة اندفعت نحوه سيدة شقراء فى منتصف العمر وبمجرد أن تطلع إلى وجهها تذكرها ..كانت تحضر جلسة التحقيق .. أمسكت المرأة يده وقالت :

– مرحباً بك يا عزيزى ..اننى سعيدة لحضورك ..

ثم قالت بلباقة :

– لا حاجة بى لتقديمك فلا شك أن الجميع هنا يعرفونك ..

ثم التفتت خلفها وقالت :

– جوان .. تعالى إلى هنا .. إنه مستر ..

ولم تكن تعرف الاسم .. فقالت بسرعة :

– ماهذا ؟ هل تقف هكذا دون أن نقدم إليه أى مشروب ؟..

وعلى الفور أمرت أحد الخدم بتقديم الشراب إليه ثم تركته مع الفتاة وذهبت لكى تستقبل القادمين .. وسمعها مايكل تكرر نفس عباراتها السابقة ..

تطلع إلى الفتاة التى وقفت معه فوجدها حسناء تتميز بشعرها الأسود الفاحم ..

قالت له :

– اننى لا أستطيع أن أشرب هذا القدح ..ولكن ها هى كات هوارد ..كيف تحضر إلى الحفل فى يوم الجنازة ؟..

نظر إليها مايكل خلسة ..

كانت ترتدى الملابس السوداء بينما كانت الابتسامة تضئ وجهها ، وقد أحاط بها عدد من المدعوين ..

لم تتغير هيئتها عما رآه فى قاعة التحقيق ، ولكنها هنا تبدو أكثر حيوية وتألقاً ومرحاً ..كما كانت تبدو مستمتعه .. بهذا الحفل إلى حد كبير .

وعلى الفور شق مايكل طريقه إليها وسط الزحام الشديد ، ولكنه قبل أن يصل إليها تصيدته مسز ديفا مرة أخرى وهتفت قائلة :

– هل تركوك وحدك مرة أخرى يا عزيزى ؟.

وراحت تحدث نفسها قائلة : أين رأيت هذا الشاب الوسيم الفاحم الشعر ؟ .. وكيف نسيت اسمه ؟..

وعلى الفور قدمتــه إلى فتاة طويلة القامة نحيلة تفتـقد إلى الجمال ثم تركته معـها وانصرفت ..بعد أن ذكرت للفتاة أن اسمــه بيتر ، أما الفتاة فقدمتها إليه باسـم سيلفيا ..

ألقى إليها مايكل بتحية فاترة وسمع خلفه صوتاً يقول :

– ومن الذى اكتشف الجثة ؟.

فشعـر بالضيق واعتـذر للفتاة ثم بدأ يشق طريقه نحـو كات التى كانت محاطة بعدد كبير من المدعوين وسمع جوان تقول :

– مسكينة إيما . لا شك انـك ستشعـرين بفراغ كبـير بعد رحـيلها ياكات..

ورأته كات فقالت :

– مرحبـاً بك يادكتور ..ان آخر شئ كنت أتوقـعه أن أراك فى هذا الحفل ..

قال مايكل :

– وأنا أيضاً لم أتوقع رؤيتك فى أى حفل ..

–اننا لم نلتق منذ وقت طويل ..

فابتسم لها وهو يقول :

– ولكنك فى حالة طيبة للغاية ..

– لا تدع المظاهر تخدعك ياعزيزى .. اننى فى غاية الـتعاسة ..لقد

قضيت يوماً عصيباً ، ومن المؤكد انك طالعت فى الصحف بنأ سقوط زوجة أخى من النافذة ووفاتها ..

تظاهر .. مايكل بالحزن وغمغم قائلاً :

– نعم .. لقد علمت بالخبر من الصحف ..انني شديد الأسف لذلك ..

قالت كات :

– وقد عدت من الجنازة على التو ..

وهنا اندفعت عجوز يبدو عليها الفضول وقالت :

– يالك من إمرأة مسكينة ياكاترين .. مالذى حدث لزوجة أخيك ؟ هل ألقت بنفسها من النافذة ؟..

لم تنظر إليها كات وهى تقول :

– كلا بالطبع ..

فقالت العجوز :

– لقد قلت لزوجى بالأمس ان كات المسكينة ستتحمل عبء هذه الطفلة اليتيمة ...

– تقصدين أن ؟..

ألقت كات بهذه العبارة بدون إكتراث فشعر مايكل بالحزن الشديد ولكنه تمالك نفسه ..ابتعدت العجوز فقالت كات :

– إنها امرأة فضولية لا تكف عن الأسئلة ..

سألهـا مايكل :

– هل هى مـن أصـــدقـــائك ؟..

نظرت إليه بعينيهـا الساحرتين وقالت :

– ان الجميع يحاولون أن يكونوا أصدقائى فى هذه الأيام من أجل معرفة تفاصيل وفاة إيما المسكينة ..انه حادث مروع ..

ابتسم لها مايكل ابتسامة ذات مغزى وقال لها :

– يجب علينا أن نبتـعد من هنا حتى لا تلاحقك الأسـئلةمنها ومن غيرها ..

وأسعدها كثيراً أن تذهب بصحبة هذا الشاب الوسيم فقالت :

– معك حق .. لابد أن ابتعد عنهم ..

وقبل أن يغادرا الحجرة ألتقت بهما سيلفيا فقالت مخاطبة كات .

– كات .. أريد أن أعرف منك الحقيقة .. أن زوجى يقسم بأن هنك شـخصـا دفع إيما من النافذة ولكـنهم قرروا إخـفاء الحـقيـقة حـتى لاتخدث فـضيـحة .. فهـيا بنا نجلس فى هذا الركن لأعـرف منك كل التفاصيل ..

نظرت كات الى مايكل وقالت :

– كلا .. اننى الآن ..

فنظر مايكل إلى ساعته وقال لينقذها من ورطتها :

– أن والدتك تنتظر منك مكالمة تليفونية الآن فلا داعى للتأخير ..

ارتبكت لحظة ثم فهمت المناورة وقالت :

– نعم .. سوف أذهب .. إلى اللقاء ياسيلفيا ..

وعند الباب قالت لمايكل :

– اننى لا أعرف كيف أشكرك ..

وقبل أن يغادرا الغرفة وجدا أمامهما مسز ديفا التى هتفت قائلة :

– كيف تنصرفين الآن ياعزيزتى ..انك لم تتناولى العشاء بعد ..

قالت كات :

– ان الجميع يسألوننى عن الجريمة ولم أعد احتمل المزيد من الأسئلة .. أما العشاء .. ثم نظرت إلى مايكل نظرة ذات مغزى ..

ففهمت مسزّ ديفا وابتسمت بينما قالت كات لمايكل :

– هيا بنا من هنا بسرعة فها هى العجوز الثرثارة قادمة ..

وبعد أن انصرفا ظلت مسز ديفا تراقب كاترين وتتساءل : هل تحب كات حقاً ؟ وهل كات تحبها ؟ ولماذا تنصرف بصحبة أجمل الرجال لتتناول معه العشاء رغم أنها وعدتهم بالعشاء معهم لتقص عليهم تفاصيل الحادث ؟..

★ ★ ★

ذهب مايكل بصحبة كات إلى أحد المطاعم الفاخرة الصاخبة التى تفضلها المرأة بلاشك ، فهى على العكس من حبيبته الراحلة إيما التى كانت تحب الأماكن الهادئة والمطاعم الصغيرة البعيدة عن الضوضاء ..

قالت كات :

– لقد أحسنت اختيار المطعم ياعزيزى .. إننى أحبه كثيراً واشعر فيه بالراحة ..

وبعد أن جلسا فى المائدة المميزة التى حجرها مايكل قالت :

– اننى لا أرتدى الثياب التى تليق بهذا المكان فقد عدت من الجنازة مباشرة .. كانت الجنازة اليوم ..

– حقاً ..

راح يتطلع إليها وإلى وجهها الجامد الذى لا يعبر عن شىء من الانفعالات ، كما لفت نظره أنها تحلى صدرها بحلى من الماس المتألق وتساءل .. هل هذه من مظاهر الحزن والحداد ؟..أنها أنيقة للغاية شديدة الاعتناء بملابسها وأناقتها وزينتها ..

حتى الملابس السوداء التى ترتديها لا تدل على أنها حزينة أو عائدة من جنازة زوجة أخيها .. وبعد أن انتهت من استكمال زينتها قال لها مايكل :

– ماذا ستفعلين مع أن ؟..

بدت على وجهها دلائل الدهشة وهتفت قائلة :

– أن ؟ هل تعرفها ؟..

فقال بهدوء :

– بالطبع .. لقد أجريت لها جراحة منذ عدة .. أشهر ..

فضحكت وقالت :

– نعم .. لقد تذكرت .. يالى من غبية ، لقد خشيت أن تكون كغيرك من الفضوليين الذين تركت الحفلة من أجلهن وكدت أنسى المرة الأولى التى رأيتك فيها ..

قال مايكل :

– حسناً .. ماذا تم بشأن الصغيرة أن ؟..

– لقد أرسلتها إلى والدتى فى (بات) ، ولم أذهب معها لأن علاقتى بوالدتى ليست على مايرام وأعتقد أنك لاتهتم بهذه الأمور..

– بل إنها تهمنى كثيراً ..

– أشكرك على ذلك .. ويبدو أننى أهزى الليلة بفعل الشراب الذى قدمته لى مسز ديفا ..

– سوف تصبحين فى حالة طيبة عقب تناول طعام العشاء ..

ولكنه قرر أن يستدرجها فى الحديث مستغلاً حالتها ..

سألها قائلاً :

- وماذا بشأن المنزل ؟..

- أى منزل تقصد ؟.

- منزل مسز رايت ؟..

قالت بضيق :

- تم عرضه للبيع ..

- بهذه السرعة ؟.

- نعم فقد أبعدنا عنه أن ليلة وفاة إيما ، كما أن أخى فيليب لن يطيق دخوله بعد ماحدث ..

وتخيل واجهة .. المنزل الأنيق الذى يقف شامخاً وسط الحدائق والأشجار.. لقد أصبح هذا المنزل الجميل خرباً مقفراً تماماً كما أقفرت حياته وأصبحت بلا معنى بعد رحيل حبيبته ..

.. أغمض عينيه فشعر بأن دقات قلبه تهتف باسم إيما ..

وأفاق على صوت كات وهى تطلب الطعام وراح ينتقى لها أفضل أنواع الطعام ويتظاهر بالمرح ويلقى ببعض كلمات المجاملة حتى تنفتح شهيتها للحديث ..

كان يراقبها بدقة وكأنه يضع إحدى الجراثيم تحت المجهر ويراقب أطوارها .

وبعد انتهاء السهرة قالت له :

- أننى عاجزة عن شكرك .. لقد أنقذتنى من حفلة مملة وجعلتنى أقضى سهرة ممتعة هل يمكن أن نلتقي مرة أخرى ؟..

فقال بلهجة ودية :

- كنت على وشك أن أقول ذلك .. ما رأيك فى أن نلتقى غداً فى نفس المطعم فى تمام الساعة السادسة ؟..

- سوف أكون هناك ..

ثم صافح يدها التى يغطيها القفاز وظل يراقبها حتى دخلت إلى منزلها ..

★ ★ ★

الفصل السابع

خطر ببال مايكل جويس أن يقوم بزيارة منزل حبيبته الراحلة إيما ..

وذات مساء غادر لندن ليقطع نفس الطريق الريفى الذى قطعه مع حبيبته من قبل ..

وتذكر تلك الأمسية الرائعة التى قضاها معها ..

كان الدافع الأول لهذه الزيارة هو مشاهدة منزل الحبيبة الراحلة ، فلم يسبق له رؤيته ويتمنى أن يقضى فيه بعض الوقت يستروح نسائمها ويستعيد ذكرياتها .

كما كان يعتقد أن رؤية المنزل قد توحى إليه بحل لهذا اللغز الذى استغلق عليه ..

لغز مصرعها بهذه الصورة المفاجئة ..

وتساءل : لماذا يبدو الطريق أطول ؟ هل يمكن أن يكون قد ضل الطريق ؟

خفف من سرعة السيارة وأخذ يتطلع حوله حتى رأى المعبد

الصغير وسط الحقول فاطمأن أنه يسير فى الطريق الصحيح وأطلق للسيارة العنان وحاول بقدر جهده أن ينسى ذكريات تلك الليلة التى وقفت فيها إيما مرتكزة على جدار المعبد .

لقد ذكرت له أنها تشعر بالراحة فى هذا المكان !!

ولكنها حصلت على الراحة الأبدية والسلام الدائم ..

أوقف السيارة فى الممر المؤدى إلى منزلها الحبيب ثم أطفأ أنوارها وراح يتأمل المنزل وسط هذا السكون الشامل ..

لم يكن هناك أدنى صوت كما كان الظلام حالكاً ..

راح يطوف حول البيت لعله يجد منفذاً يدخل منه ولكن بدون جدوى ، كانت الأبواب والنوافذ محكمة الغلق ولا يمكنه اقتحامها ..

عثر على نافذة زجاجية صغيرة بجوار المدخل الرئيسى فقرر اقتحامها ..

وجد قطعة كبيرة من الحجارة فتناولها وكسر بها زجاج النافذة التى تفتت وأحدث صوتاً مقبضاً وسط هذا السكون .

توقف مايكل قليلاً وهو يرهف السمع حتى تحقق من عدم وجود أى حركة بداخل البيت فمد يده وفتح النافذة ثم تسلق حافتها ووثب إلى داخل المنزل بخفة ..

توقف قليلاً حتى تعتاد عيناه الظلام ، وكانت خيوط من أشعة القمر تدخل إلى المنزل عبر النوافذ فتبدد الظلمة قليلاً ..

لمح أحد الأبواب فى نهاية الردهة فتقدم إليه ودفعه برفق فانفتح فوجد ضوء القمر يغمر الغرفة ولمح الشرفة الكبيرة التى تنتهى بدرج يؤدى إلى الحديقة ..

وفجأة شعر بهدير خافت أعقبه صوت شىء يسقط على الأرض .

ثم سمع رنين شىء منتظم ..

شعر بالخوف فاستدار على الفور ورأى هرة تجرى بسرعة فيما رأى شيئاً معدنيا مثلث الشكل على الأرض أسفل البيانو فالتقطه على الفور ، فوجده جهازاً يشبه الساعة ولكنه مصنوع لضبط الإيقاع الموسيقى فأعاده إلى موضعه .

كانت هذه هى غرفة الجلوس التى كانت تقضى فيها إيما معظم أوقاتها .

راح يتأملها فوجد أن كل شىء فيها كما هو لم يمس بعد وكأنها سوف تعود مرة أخرى ..

والبيانو مازال مفتوحاً .

خطر بباله أن يجرى بأصابعه عليه لعله يشعر ببعض الراحة .. ألم تمس أناملها الحبيبة هذه المواضع ؟

وراح يتذكر قولها إن الموسيقى راحة للأعصاب وتهذيب للنفس ووسيلة رائعة للتسلية عندما يكون الإنسان وحيداً ..

وتمنى أن يجد فى الموسيقى شيئاً من التسلية يوماً ما ..

كانت النوتة الموسيقية موضوعة فى موقعها فوق المعزف وبها مقطوعة موسيقية لموزار .

وأدرك أن إيما كانت تتدرب على هذه المقطوعة وتستعين بجهاز التوقيت .. أسكت الجهاز فساد الغرفة صمت عميق ..

صعد إلى الطابق العلوى ودخل كافة الحجرات فوجدها مظلمة مغلقة النوافذ وأيقن أنه لم يدخل حجرتها بعد ..

وعندما دخل إلى الغرفة التالية أيقن أنها غرفة إيما .. أنها مازالت تحمل رائحة عطرها الرائعة ..

شعر أن الغرفة مقبضة موحشة فى غياب صاحبتها ..

ذهب إلى النافذة وجذب الستارة بقوة فتسلل ضوء القمر إلى داخل الغرفة .. ثم فتح النافذة ..

دخل نسيم الليل العليل إلى الغرفة محملاً بعبير الأزهار المنعشة ..

كانت النافذة طويلة تمتد من السقف إلى قرب الأرض حيث لم تبلغ قاعدتها ركبته ..

وقف أمامها يتأمل الريف والحقول المترامية الأطراف وهو يشعر بالحزن ..

استطاع أن يميز المعبد الصغير الذى كانت إيما تحبه بينما كرهته كات ..

ولم يسمع أصوات الأرغن التى تحدثت عنها إيما ، فقد كانت الريح ساكنة ، ولم تكن هناك أية أكواخ أو منازل قريبة .. أشجار وحقول فقط ..

عندما سمع نعيب البومة بالقرب منه شعر بالحزن يعصف به ، وتذكر حبيبته الراحلة التى وقفت مراراً فى هذا الموضع وهى تتأمل السكون الشامل وتستمتع بالمنظر الرائع .. منظر الحقول المترامية والتلال المنحدرة وخط الماء الذى يتألق على البعد ..

ونظر إلى الأرض أسفل النافذة ..

كان الفناء مرصوفاً بالحجارة المصقولة التى ظهرت بقطعها الصغيرة كلوحة الشطرنج من هذا العلو الشاهق .

وتذكر كيف سقطت حبيبته .. لابد أنها كانت ترى هذه الأحجار كما يراها الآن . أنه آخر منظر رأته قبل وفاتها .. لقد سقطت وأصبحت كومة من الحطام بلا معالم .

شعر بدوار هائل وكاد يسقط من النافذة لولا أن تشبث بحافتها بقوة ..

كانت المناظر غير واضحة أمامه فابتعد عن النافذة وكان وجهه شديد الشحوب ..

لم يستطع أن يمحو من ذهنه صورة الحبيبة إيما وهى تسقط من هذا الارتفاع الشاهق ..

كان يتصورها وكأنها حقيقة ماثلة أمام عينيه .

وضع يديه على عينيه ثم تراجع إلى الخلف وتوقف قليلاً حتى استعاد توازنه وتمكن من السيطرة على نفسه ولم يحاول النظر من خلال النافذة مرة أخرى ..

مد يده بسرعة فأغلقها ثم جذب الستائر وأعادها إلى موضعها .

غرقت الغرفة مرة أخرى فى الظلام الدامس ..

وقف لحظات يتنسم عطرها الحبيب ثم غادر الغرفة إلى الردهة ثم هبط الدرج إلى قاعة الجلوس ..

اتجه على الفور إلى البيانو وأدار جهاز ضبط الإيقاع مرة أخرى .

أخذ يتذكر الأغنية التى تغنت بها العزيزة أن يوماً وسجلتها لها إيما على اسطوانة ..

وبعد قليل أوقف الجهاز .

جلس أمام البيانو وراح يداعب أوتاره بأنامله محاولاً تقليد عزف إيما للأغنية التى سمعها فى تلك الليلة حيث كانت تقوم بإصلاح أخطاء أن على الاسطوانة .. وتذكر كلماتها الرقيقة التى تفيض بالحنان والحب وهى تقول :

– لقد أخطأت فى هذا الموضع ..

راح مايكل يعزف الأغنية على البيانو وقد استغرق فى العزف ولم

يشعر بالزمان أو المكان وغرق فى ذكرياته ..

وفجأة أضيئت الغرفة بسرعة البرق .

عجزت عيناه عن الإبصار عدة ثوان وبعدها رأى أثاث الغرفة وأوانى الزهور التى كانت جافة ..

وعلى الفور استدار خلفه ..

رأى كهلاً أبيض الشعر يقف بباب الحجرة ..

راح الكهل يتطلع إليه مشدوهاً وقد بدا الرعب على وجهه وغمغم قائلاً :

- يا إلهى .. إنه إنسان !!

صاح مايكل بحدة :

- من أنت ؟

فقال العجوز حانقاً :

- عليك أنت أن تجيب على هذا السؤال .. من أنت ؟ وكيف دخلت إلى هنا ؟

- كنت أظن البيت خالياً ..

قال العجوز بحدة :

- لاشك إنك لص وساقبض عليك بتهمة اقتحام منازل الغير ..

فلم يتمالك مايكل نفسه من الضحك فقال العجوز مرتعداً :

- ولكنك بشر مثلنا .. أليس كذلك ؟

- وهل أبدو فى صورة شبح ؟

وبعد أن اطمأن الكهل قال لمايكل :

- لو كنت فى مكانى لتصورت ذلك .. لقد ماتت السيدة منذ أربعة أيام فقط وكانت نهايتها مؤلمة ، ولكنها لم تكن تعزف على البيانو وقتها ..

كان الرجل يتحدث عنها بإجلال واحترام ..

قال له مايكل :

- هل سمعتها فى هذا اليوم ورأيتها ؟

أومأ العجوز برأسه وقال :

- لم تكن تسمح لى بأن أراها أبداً وكنت أسمع صوت خطواتها على الدرج فلا أستطيع الدخول لرؤيتها ..

كان العجوز يتحدث عنها بلهجة تفيض بالحنان ..

تقدم بحذر نحو مايكل وقال :

- هل ستأتى معى بهدوء أم أستدعى رجال البوليس إلى هنا ؟

قال له مايكل :

– هل أنت المسئول عن هذا البيت ؟

– انني الحارس .. فماذا أخذت ؟

– لم أخذ شيئاً ..

قال العجوز :

– عندما تسطو على منزل بعد ذلك فلا تقم بالعزف على البيانو حتى لا يفتضح أمرك وتفشل مهمتك ..

فهز مايكل رأسه موافقاً وعندما اقترب من الباب الخارجى سأل العجوز قائلاً :

– هل أنت تعرف صاحبة البيت ؟

هتف العجوز :

– أعرفها ؟ انني أعمل عندها منذ عشر سنوات .. مهمتى هى العناية بالحديقة ..

قال مايكل :

– إذن أنت البستانى كلاى .. هل أنت الذى تقوم بالعزف على الأرغن فى المعبد ؟

نظر العجوز إليه بدهشة وقال :

– هل تعرفنى ؟ إذن فهيا بنا نجلس فى حجرتى الدافئة لتناول قدحاً من الشاى ..هيا ..

رحب مايكل بالدعوة وتبع العجوز ..

وفى الطريق قال له :

– علمت أن مسز هوارد لم تكن تحب عزفك على الأرغن ..

لاحظ مايكل علامات الاشمئزاز على وجه الرجل وكأنه يوشك أن يبصق على الأرض ثم قال :

– مسز هوارد .. إنها إمرأة فظيعة لا تحتمل وتدس أنفها فى كل شىء .. لقد أحالت حياة سيدتى الراحلة إلى جحيم ..

شعر مايكل بمدى حزن الرجل على إيما وغضبه على كات وتمنى أن يجد لديه معلومات جديدة بشأن الحادث الغامض الذى قلب كيانه ..

سار مايكل خلف كلاى العجوز الذى قاده عبر الردهة ثم إلى درج حجرى يؤدى إلى القبو فرأى حجرة صغيرة مضاءة بمصباح صغير ورأى إبريق الشاى على النار وشم رائحته الذكية .

وفى وسط الحجرة كانت هناك منضدة صغيرة عليها بعض أوراق اللعب ..

كان من الواضح أن الرجل يعيش وحده فى هذه الحجرة المنعزلة ولذلك كان فى غاية السعادة عندما قبل مايكل دعوته ..

قال لمايكل :

- تفضل بالجلوس يا سيدى .. يا إلهى .. لقد كانت مآساة مروعة .. من الذى يتخيل أن تموت تلك السيدة الرقيقة بمثل هذه الطريقة البشعة؟

ترقرقت الدموع فى عينيه وقال بنبرات حزينة :

- ولكنك جئت متأخراً يا سيدى .. اننى أكون نائماً غالباً فى مثل هذا الوقت .

قال مايكل ضاحكاً :

- كان بإمكانى مواصلة العزف إذا حضرت متأخرٌ عن ذلك قليلاً ..

وبعد أن جلس كلاى مع مايكل أيقن أنه لا يمكن أن يكون لصاً يسطو على المنازل فهو رجل مهذب كما تبدو عليه ملامح الثراء .. قال له :

- كان بإمكانك قضاء الليل كله فى المنزل لو أحسنت إختيار الليلة المناسبة لذلك ..

- حقاً ؟

قال كلاى :

- نعم ففى يوم الجمعة أركب دراجتى وأذهب إلى منزل أختى لزيارتها وقضاء الليل عندها ..

قال مايكل ضاحكاً :

– أشكرك على هذه المعلومات القيمة يا سيدى .. في المرة القادمة سوف أحضر يوم الجمعة حتى يمكننى أن أسرق بسهولة ..

هز كلاى رأسه نفياً وقال :

– من المستحيل أن تكون لصاً يا سيدى.. اننى أعرف اللصوص من رائحتهم ، كما أن سلوكك لا يتفق أبداً مع سلوك اللص الذى يكون قلقاً متعجلاً .. كلا .. إنك لست لصاً ..

قال مايكل بحزن :

– شكراً على ثقتك يا كلاى .. كنت صديقاً لمسز رايت وأردت أن ألقى نظرة على منزلها وأعاين مسرح الحادث بنفسى ..

ضرب كلاى المنضدة بقوة وصاح قائلاً :

– ماذا تقول يا سيدى ؟ إنه لم يكن حادثاً على الإطلاق ..

– ولكن .. ولكن المحقق قال إنه ..

فقاطعه كلاى ثائراً :

– سيدى أرجو أن تنصت إلى جيداً .. كيف تتخيل أن تسقط سيدة من النافذة التى واظبت على النظر من خلالها أكثر من عشر أعوام كاملة ؟ إن هذا شيء غير معقول ..

وهى أيضاً فى صحة جيدة لا تعانى من أية أعراض مرضية ولا تخاف الأماكن المرتفعة كما ادعى بعضهم فى جلسة التحقيق ..

هز مايكل رأسه موافقاً بينما استطرد العجوز قائلاً :

– اننى أشك فى هذه الشـيطانة الملعونة التى تدعى مـسـز هوارد .. أنـها وراء كل شر يـحدث هنا ..

قال مايكل ببطء :

– من الواضح أنك تكره هذه المرأة كثيـراً يا كلاى وهذا هو السبب الذى يدفعك لاتهامها فى هذا الحادث ..

وكما توقع مايكل تماماً .. وكما دبر فقد ثار الكهل وقال بحدة :

– إنك لا تعرف أى شـىء يا سيدى .. كـما أننى لست الوحيد الذى قـال ذلك فهناك دوريس بـوند الوصيـفة وأيـضاً الطاهيـة .. أن هذا رأيهما أيضـاً .. أن مسز هوارد امرأة لا تطاق .. كـانت تحاول فرض إرادتهـا على مـسـز رايت وتتـدخل فى كل شـىء حـتى فى أمـور أن المسكينة .. وكانت دائماً تستفز مسز رايت وتعمل على إثارة أعصـابها ولذلك تشـاجرتا ورحلت مسـز هوارد من هنا ..

– ولماذا رحلت ؟

قال العجوز :

– إنها كانت تقيم هنـا بصورة مؤقته عقب مقـتل زوجها ، وكانت ضيفة ثقيلة للغاية لا تكف عن طلب النقود وغيرها من الأشياء الثمينة التى تعتز بها مسز رايت ثم وقعت حادثة السجادة ..

– أى سجادة ؟

– سرقت مسز هوارد سـجادة ثمينة وعندما اكتـشفت مسز رايت

الأمر تظاهـرت أمامنا بأنها وهـبتهـا هذه السجـادة ، ولكننا كنا نعلم الحقـيقة .. لقـد أقبلت سيـارة فى صباح أحـد الأيام وحمل سائقـها السجادة ورحل بها ..

ورغم أنها كـانت سجادة ثمـينة إلا أن مســز هوارد باعتهـا بثمن بخس .. كانت ســجادة شــرقية ثمــينة وكانت مســز رايت تفخـر بها كثيراً ..

وقد تكررت مثل هذه الأمور من قبل مسز هوارد مـما أزعج مسز رايت الرقيقة الطيبة الكريمة الأخلاق .

هز مايكل رأسه بحزن وقال :

– نعم .. إن هذه هى صفاتها ..

ظل الكهل يتحدث عن مســز رايت بلا انقطاع ومايكل يصغى إليه ، وأخيراً نهض قائلاً :

– كفى ذلك وسوف أنصرف الآن ..

صحبه كلاى إلى الباب الخارجى وهو يواصل حديثه فقال :

– لقد حاولت هذه الشـيطانة طردى من المنزل وادعت أننى لا أجيد العزف على الأرغن .. ترى هل تحب الغناء يا سيدى ؟

قال مايكل بلهجة حزينة :

– منذ فترة طويلة لم أحاول الغناء ..

– أننى أعـانى الوحـدة دائماً ولا أجـد من أتحـدث إليه إلا عندمـا

أذهب لزيارة أختى ..

– قد أحضر إليك هنا فى ليلة قادمة .. هل توافق ؟

تهلل وجه الرجل وقال :

– بالطبع يا سيدى .. يمكنك أن تحضر إلى هنا فى أى يوم عدا يوم الجمعة كما أخبرتك .. أننى أرحب بك فى كل وقت ..

وهمس فى أذن مايكل قائلاً :

– أعتقد أن مسز هوارد هى التى دفعت مسز رايت من النافذة ..

خفق قلب مايكل بشدة ولكنه قال بهدوء :

– ولكن لماذا تفعل مسز هوارد ذلك ؟ أننى لا أصدق أن تقوم على عمل بشع كهذا !

انقلبت سحنة كلاى وهو يقول :

– يجب أن تصدقنى يا سيدى .. إن هذه المرأة لا تتردد فى القيام بأى عمل شرير أبداً ..

قال مايكل :

– ذكرت الوصيفة دوريس أن مسز هوارد غادرت المنزل قبل الحادث بنصف ساعة ..

– قالت ذلك حتى لا تثير الأقاويل حول سيدتها الراحلة ..

ثم تصافحا وانصرف مايكل ..

★ ★ ★

الفصل الثامن

أحكم مايكل الحصار حول كات هوارد فراح يدعوها إلى المطاعم الفاخرة والأندية الراقية وينفق عليها بلا حساب ..

لم يكن يفعل ذلك عبثاً بل كان يتبع خطة دقيقة للإيقاع بهذه المرأة وهو يعلم جيداً أنها تحب أن تتحدث عن نفسها كثيراً . .

توقع أن يفلت لسانها فى إحدى الليالى نتيجة الإسراف فى الشراب والرغبة الدائمة فى الحديث عن نفسها .. كان كل منا يفعله من أجل معرفة حقيقة موت حبيبته إيما وهو واثق أن كات تعرف الحقيقة . .

كان هناك الكثير من الشكوك التى تحوم حول كات ، ففى جلسة التحقيق ادعت أن إيما كانت شديدة المرح والسعادة بسبب عودة زوجها ، وكذلك إشارتها الخفية إلى أن عندما سألها المحقق عن وجود أحد مع أمها قبيل وفاتها ، فذلك يؤكد أن هناك شخصا ما كان معها بالفعل وإلا فلماذا فعلت ذلك ؟..

ترى من هو هذا الشخص ؟.

ولماذا حرصت كات هوارد على إخفاء شخصيته عن المحقق ؟ وهل

كانت هى أم شخصا غيرها ؟.

وكذلك علم الكثير من كلام الطبيب الذى تحدث بدون أى ضغوط وكان يعبر عما يدور بذهنه ويقتنع به ، وكان مايكل واثقاً من صدق الرجل وأمانته وإخلاصه لسيدته الراحلة إيما . .

ولكته كان متحاملاً على كات كثيراً .. فهل يمكن أن تكون هى التى دفعت إيما من النافذة ؟ إن هذا إتهام خطير للغاية . .

لايوجد أى دليل على ذلك ، كما أن الخدم لا يكفون عن الثرثرة . .

ان كلاى يكره كات إلى أقصى درجة ..ولكنه عاش فى المنزل أعواماً طويلة ويعرف عنها الكثير والكثير بلاشك .

استعاد مايكل حديث كلاى فى ذهنه وتوقف عند عبارته :

(يجب أن تصدقنى .. إن هذهٰ المرأة لاتتردد فى القيام بأى عمل شريراً أبداً) .

ولم يستطع أن ينسى هذه العبارة ..

تذكرها وهو جالس أمام كات التى كانت فى كامل زينتها وأناقتها . وراح يتأملها بشعرها الأسود الفاحم وقبعتها الأنيقة وفمها الدقيق الجميل ويديها البضتين المصقولتى الأظافر .. وراح يتأمل يديها ويتساءل : هل يمكن أن تكون قد دفعت إيما بيديها هاتين ؟! .. .

ابتسمت له وهى تقول :

- إننى اليوم سعيدة للغاية يامايكل ، فقد فاز الجواد الذى راهنت

عليه فى السباق بمعجزة بعد أن كنت أفقد الأمل والنتيجة أننى ر.حت مبلغ مائتى جنيه .

لاحظ مايكل أنها كانت تولى الأمور المالية اهتماماً كبيراً وتتحدث عنها كثيراً فى كل الأوقات . .

استطردت قائلة :

– لقد تآمر الجميع ضدى ليحرمونى من النقود .. أهلى وأهل زوجى ولذلك تجدنى دائماً فى حالة من التوتر العصبى والضيق . .

– ولكن زوجك كان ؟.

فقاطعته قائلة بسخرية :

– زوجى .. أن أفضل شئ فعله أنه مات مبكراً !!.

★ ★ ★

كان مايكل يعرف هذه النوعية من النساء جيداً .. إن كل ما يهمهن هو أنفسهن فقط ولا شئ غير ذلك ..

وكات هوارد مثالا حيا للأنانيّة وحب الذات والاستهانة بكل شئ فى مقابل الحصول على ما تريد .. أنها تخفى تحت ثيابها الأنيقة ومظهرها الجميل أسوأ النوازع البشرية وأحط الصفات الإنسانية

إن كل مايهمها فى الدنيا هو نفسها ونفسها فقط ..

تعشق الثياب الفاخرة والفراء والحلى الثمينة والنقود ومظاهر

الثـراء والبـذخ .. مـعشـوقـهـا الأول هو المال الذى لا تتـورع عن استخـدام أحط الوسـائل للحصول عليه .. قـالت يوماً لمايكل أنها تريد الحصول على أكبر قدر من المال حتى تجعل حياتها ذات قيمة !.

وما هو هذا الشـىء الذى يجعل حياتها ذات قيمة ؟.

كان مايكل يتساءل بينه وبين نفسه بينما تواصل كات الحديث عن مشروعاتها التى ستقوم بها إذا ما توافر معها مليون جنيه !. .

تـحمل مايكل الكثير من تفاهاتها وأنانيتها ولم يبد أى امتعاض منها حتى تطـمئن إليه بل إنـه كان يطلب لهـا أغلى أنواع الطعام وأكـثرها ندرة حتى يشعرها بالـسعادة ويستحوز على رضاها وثقـتها .. إنها تحب كل ماهو غال وثمين . .

ورأى كيف يمكن أن يستحـوذ كل صاحب مال على مثل هذه المرأة بسهولة . .

فى البدايـة يتظاهر بالاهتمـام بها فتـحسب لغـرورها أنه وقع فى حبـها ثم ينفق عليـها ببذخ ويـوفر لها الطعـام الفاخـر والشراب ثم يحصل على ما يريد منها بسهولة ..

وهكذا وبمرور الايام بدأت كات تأنس إلى مايكل وتتـحدث معه بلا تحفظ ..

عـرف عنهـا الكثـير والكثـيـر ولكن بقى أهم شىء لم يـعرفـه .. الحقيقة ..

تحدثت .. كثيراً عن زوجها الراحل وعن أسرتها التى كانت نقاطعها ، واتهمت كات أهلها بأنهم أشحاء لايرسلون إليها بالنقود .كما تحدثت عن فضائح أصدقائها

ولكنها لم تتحدث أبداً عن إيما !!.

رغم ذلك فقد شعر بالرضا والسرور لأن هذا يثبت نقاء إيما وطهارتها .

أخذ مايكل يحاول دفعها للحديث عن إيما ويشجعها على ذلك حتى بدأت تتحدث عنها أخيراً ..

ولكن حديثها عنها كان متحفضاً ، ولمح خلاله نظرة جامدة متحفظة تطل من عينيها وهى تتحدث عن إيما وحار فى تفسير هذه النظرة . .

أنها تكون فى حالة طيبة من السعادة والحيوية ولكن عندما يتطرق الحديث إلى إيما تتحول إلى الجمود والتحفظ وتجيب على أسئلة مايكل إجابات مقتضبة وتحول دفة الحديث إلى اتجاه أخر ثم تستعيد سيطرتها على نفسها . .

كاد مايكل جويس يجن من طول التفكير فى إيما حبيبته . .

لقد نسيها ا جميع تماماً عدا هو .. أنها مازالت حية ماثلة أمامه فى كل لحظة .. كان يذرع غرفته طوال الليل جيئة وذهاباً وهو يفكر فيها ويستعيد حديثه مع كات عن إيما ويتذكر كل لمحاتها وانفعالاتها

ونبرات صوتها ويحاول أن يحللها . .

رد الفعل الدائم لدى كات عندما تجئ سيرة إيما هو الجمود وعدم الأكتراث .. لم يجد لديها لمحة من الحزن والرثاء . .

وبدون دليل مادى أصبح مايكل مقتنعاً بأن كات هوارد هى المسئولة عن قتل إيما .. نعم القتل .. لقد ترسخت هذه النظرية فى ذهنه وأصبح مؤمناً بها مثل كلاى البستانى تماماً . .

ومثل كلاى أيضاً بدأ يبحث عن كل ما يؤكد إتهام كات بقتل حبيبته إيما ..

قرر فى النهاية شيئاً رهيباً للغاية .

إذا ثبت لديه أن كات هى قاتلة إيما فسوف يقتلها بدون تردد ..

وسيكون فى غاية السعادة إذا فعل ذلك .. أنها حيوان حقير لايستحق الحياة ولا يجب أن يظل على قيد الحياة حتى لايفسد حياة البشر . .

نعم وسوف يحطمها تماماً ويقضى عليها قضاء مبرماً بلا رحمة .. فقد قتلت المرأة الوحيدة فى العالم التى أحبها ..

وهى بنفسها التى سوف تخبره بالحقيقة . .

★ ★ ★

فى اليوم التالى حصل مايكل على معلومات هامة للغاية من كات ..

كان جالساً معها فى أحد المطاعم الفاخرة عندما طلبت نوعاً قوياً من الشراب بحجة أن أعصابها مرهقة ، ولما سألها عن السبب فى ذلك قالت إنها تعانى من بعض المتاعب العائلة .. ومن هذه المتاعب مسئولية العناية بالصغيرة آن . .

ثم قالت أنها تلقت خطاباً من فيليب أخيها والد آن . .

قال مايكل :

- مسكين فيليب .. لاشك أنه يتألم كثيراً لما حدث لإيما التى يبدو أنها كانت زوجة مخلصة وأما رحيمة ..

كان يتوقع أن تلقى كات ببعض العبارات الجافة حتى تغلق الموضوع كعادتها عند الحديث عن إيما . .

ولكنها فى هذه المرة لم تفعل يل نظرت إليه بخبث وقالت :

- لم تكن مخلصة .. كان لها عشيق !!..

ارتعد مايكل وتوترت أعصابه فقال معترضاً :

- ولكن هذا غير صحيح !.

أخذت كات تتطلع إليه بخبث وقالت بلهجة عاتبة :

- ولماذا أدهشك ذلك ؟..

من الواضح انها لاحظت كثرة أسئلته عن إيما واعتقاده بأنها إمرأة فاضلة وهذا مالا ترضاه كات لإيما او لأى امرأة أخرى ..وانتهزت هذه الفرصة للحط من قيمتها أمام مايكل ..

تمالك مايكل أعصابه وهز كتفيها استخفافاً وقال :

– وكيف علمت بذلك ؟.

وعلى الفور عادت إلى تحفظها وجمودها وقالت :

– هى .. هى التى أخبرتنى بذلك ..

لاذ مايكل بالصمت وأدرك أن كات تكذب عليه مرة أخرى ..

راح يفكر فى الأمر .. أن إيما لـم يكن لها عشـيق ..إنه كان يحبـها حباً شريفاً طاهراً ولم تتعد علاقـتهما حدود الاحترام والتقدير ، ومن المستحيل أن تخبـرها إيما بشئ من ذلك أبداً فقد كانت من النوع الذى لا يتحدث عن حياته العاطفية بهذه السهولة ..

.. قرر أن يواصل اللعبة فقال لها :

– وهل علمت من يكون عشيقها ؟.

قالت بجفاء :

– لا أعلم ..ومن الأفـضل ألا تتحدث عنـهاّ بعد أن مـاتت ، ولعلك أدركت الآن لماذا نحرص على إبعاد ابنتها عن بيتها ..

– أين ستقيم الطفلة بعد ذلك ؟..

– ستقيم معى ..

قال باشمئزاز :

– معك أنت ؟.

ويبدو أنها لاحظت نفوره منها فقالت :

– وماذا يضايقك فى هذا الأمر ؟..

فقال بلهجة مرحة :

– لا يمكنني أن أتخيلك فى دور مربية الأطفال الصارمة . .

نجح تماماً فى الإيحاء إليها بما يريد .. وفهمت هى أنه يراها امرأة مرحة تحب اللهو ولا تطيق الحياة العائلية الرتيبة فقالت :

– لا تظن انني هكذا دائماً ياعزيزى فلدى أيضا .. بعض غرائز الامومة كغيرى من النساء ..

– حقاً ؟.

ثم ضحكا سوياًوقالت كات :

– سوف أرسلها إلى إحدى المدارس الداخلية حتى لا تضايقنى إلا خلال الاجازة الصيفة فقط .. ان هذا أفضل الحلول ..

– وهذا سيتيح لك الاستمتاع ببضعة شهور أخرى ..

– نعم ..

فقال مايكل :

– وما رأى والد آن فى ذلك ؟ هل وافق ؟..

– آه ..نعم ..وافق وطلب منى أن أبحث عن منزل ..

شعرت كات بأن مايكل يسأل كثيراً هذه الليلة فقالت :

– لماذا تهتم بأمرها إلى هذا الحد .. اننى فعلت كل ذلك حتى أرضى أخى فيليب فقط ، فقد أثارت الطفلة المتاعب لوالدتى ، وطلب فيليب أن تعيش ابنته مع سيدة صغيرة السن ولذلك قبلت مرغمة ..

– ومتى ترسلينها إلى المدرسة ؟.

– يوم الاثنين القادم ولكنى سأحضرها إلى لندن غداً حتى أرسلها إلى الطبيب لفحص أسنانها ..

فقال مايكل بخبث :

– ولماذا كل هذا الاهتمام بالطفلة ؟ إن هذا فوق طاقتك ..

– لقد أرسل إلى فيليب مبلغا كبيراً من النقود من أجل العناية بآن فيجب أن أحقق رغباته . . هيا بنا نتناول العشاء . .

.. ثم وجدها تميل إلى التحفظ التام عند الحديث فى هذا الموضوع وقرر أن يتوقف عند هذا الحد ..

لابد أن يتعامل معها بحذر شديد ويحاول إكتساب ثقتها مرة أخرى من خلال العشاء الفاخر والكلمات الجميلة والعبارات المعسولة ..

.. كان مضطراً إلى ذلك رغم أنه يمقتها بشدة ويمقت كل مافيها صوتها ملابسها حركاتها ..

وعندما رأت مسز ديفا معها فى المطعم قالت لها فى اليوم التالى :

– اننى أهنئك على الإيقاع بهذا الرجل الوسيم .. يبدو أنه صار

خاتماً فى إصبعك ..

شعرت كات بالسعادة لهذه الكلمات ..

وفى اليـوم التالـى قال لهـا مـايكل وهو يودعهـا أمـام باب فندق اركاديا :

– كات .. متى تذهب الصغيرة آن إلى طبيب الأسنان ؟.

قالت بدهشة :

ولماذا تسأل ؟..

وعلى الفور قال بخبث :

– أعتقد إنك فى هذا الوقت ستكونين حرة ويمكن أن نلتقى ..

– آه .. يالها من فكرة طيبة ..

واتفق معها على أن يتناولا الغداء معا فى فندق سافوى فى الرابعة بعد الظهر ..

★ ★ ★

الفصل التاسع

كان هدف مايكل من ذلك هو رؤية أن بمفردها بعيداً عن كات ..

وقد نجح فى خداعها ولم يجعلها تشك لحظة فى أنه يرغب فى تناول طعام الغداء معها والاستمتاع بصحبتها لأطول وقت ممكن ، وفى نفس الوقت كان ينوى التخلف عن هذا الموعد ولم يعتبر ذلك خطأ يرتكبه فلم تكن كات امرأة شريفة حتى يحرص على مشاعرها ..

جلس فى بيته خلال هذه الفترة حتى سمع رنين جرس الباب ثم أعقب ذلك صوت أن وهى تقول للوصيفة :

– طلبت منى عمتى أن أحضر إلى هنا لانتظارها عقب الانتهاء من زيارة طبيب الأسنان ، وسوف تحضر لتأخذنى بعد ذلك ..

أسرع مايكل إلى غرفة الاستقبال وهو يشعر باللهفة للقاء الفتاة ..

قال لها :

– مرحباً بك يا أن ..

كانت ممتقعة الوجه شديدة النحول ترتدى ثيابها المدرسية وقد

وضعت على ذراعها إشارة الحداد ..

وفى هذه اللحظة كانت تقلب فى حدى المجلات المصورة ، وعندما سمعت الصوت انتفضت ثم استدارت إلى الوراء ..

عندما رأت مايكل واقفاً أمامها تنفست الصعداء وقالت :

– أهذا أنت ؟ مرحباً بك . .

لاحظ مايكل علامات الشحوب والنحول على وجهها فقال لها برقة :

– هل شعرت بالألم عندما فحصك طبيب الأسنان . .

– كلا .. هل يضايقك أن أنتظر عمتى كات هنا ؟ لقد طلبت منى ذلك ..

ابتسم مايكل وقال لها برقة :

– لقد كنت أنتظر حضورك .. تفضلى بالجلوس ..

هتف فى أعماقه : يا إلهى .. ماذا أصاب الطفلة المسكينة ؟ أنها تحولت إلى شبح هزيل ترى هل حدث كل هذا التحول بسبب وفاة أمها ؟

ولكن الأمر يبدو أكبر من ذلك .. أن الفتاة تبدو شديدة الخوف والتوتر كان هناك ماتخشاه .. أنها تتلفت حولها فى كل لحظة وتنظر بارتياب إلى كل شىء ..

وجد نفسه يقارن بينها وبين تلك الطفلة المتفتحة المنطلقة التى عرفها مع أمها منذ شهور قصيرة .. كان مقتنعاً أن كل هذا من صنع كات هوارد الشريرة ولابد أن يضاف هذا إلى قائمة جرائمها ..

سوف يكون حساباً عسيراً ..نعم .. سوف يأتي يوم الحساب قريباً..

قال بلهجة مرحة :

– إنني سعيد بأن أراك مرة ثانية وأتحدثِ إليك . .

قالت بلهجة تفيض بالشك :

– نتحدث فى أى شيء ؟.

– عنك .. ما رأيك فى قرار عمتك كات بإرسالك إلي مدرسة داخلية ؟.

قالت بلهجة مقتضبة :

– لا أهتم بهذا الموضوع ..

قال لها ببساطة :

– هل تحبين عمتك كات ؟.

احمر وجه الفتاة وقالت باضطراب :

– نعم ..

– هل أنت واثقة من ذلك ؟.

– نعم ..

شعر بأنهـا مضطرة للكذب وأن هناك نضالاً شديداً يثور بنفسها ويسبب لها هذا الشقاء فقال برقة :

- أن .. هل تثقين بى ؟.

تحاشت مواجهة نظراته وركزت أبصـارها على الباب وكأنها تبغى الفرار ثم قالت أخيراً :

- نعم ..

فقال ضاحكاً :

- ولكن ليس إلى حد كبير ..

- لماذا تلقى على كل هذه الأسئلة ؟.

- لأننى أحـبك ياصـغيرتى وأريد أن أسـاعـدك ولن يمكننى ذلك مادمت لا تثقين بى ..

زمت الفتاة شفتيها ثم قالت :

- قلت لك إننى أثق بك ..

ألزم نفسـه بالصبر عليها وكان يعلم أنها تعرضت لظـروف غير طبيعية فقال لها :

- كنت تثـقين فى كثيـراً يا أن يوماً مـا .. هل تذكرين ؟ كـان أمراً شديد الأهمية .

- وما هو ؟.

– حياتك يا أن .. هل تذكرت ؟..

نظرت إليه الفتاة لأول مرة بعينيها الزرقاوين الصافيتين وعادت الدماء إلى وجهها لأول مرة ثم غمغمت بصوت خافت :

– نعم ..

– أريد أن أعرف .. لماذا قلت أنه لم يكن هناك أحد مع أمك عندما رأيتها لآخر مرة ؟..

كانت مفاجأة قاسية أجفلت منها الفتاة وتجمدت ملامحها ..

وأخيراً قالت بتحد :

– قلت ذلك لأنها كانت وحدها ولم يكن معها أحد ..

– كلا .. ان ماقلته غير صحيح وأنا أعلم ذلك ..

ارتعدت الفتاة وتهدج صوتها وهى تقول :

– ماذا تريد ياسيدى .. إننى لا أعلم شيئاً ..

– لا داعى للخوف أيتها العزيزة .. إننى أريد فقط أن أساعدك ولن يمكننى ذلك بدون معرفة الحقيقة .. كانت عمتك تجلس مع والدتك .. أليس كذلك ؟.

أخفت الفتاة وجهها فى المقعد وانفجرت باكية ثم قالت بضراعة :

– أرجوك أن تدعنى ياسيدى ..

انحنى فوقها مايكل وأخذ يربت عليها برقة وقال :

- كـلا يا آن .. يجب أن تساعـدينى .. أريد أن أعـرف ماذا حـدث بينها وبين والدتك قبل أن يقع الحادث ..

صرخت الفتاة قائلة :

- كلا ياسـيدى .. انه لم يكن حادثـاً .. لقد بدا الأمر كـما لو كنت دفعتها بيدى ..

صاح مايكل :

- أنت ؟.

قالت وهى تنتحب باكية :

- كان ذلك نتيجة خطأى أنا ..

- أرجوك أن تهدئى وأن تذكرى لى التفاصيل بدقة ..

- نعم كنت أنا المخطئة وقفت ضد والدتي وأستحق ما يحدث لى .

أحاطها مايكل بذراعة وأجلسها فوق المقعد الوثير وقال لها :

- أريد أن أعرف مـاذا فعلت يا آن . لابد أن تـثقى بى وتخبـرينى بكل شئ ..

تعلقت به الفتاة وقالت :

- لا أستطيع .. لا أستطيع أبداً ..

كـانت ترتجف من أعـمـاقهـا وتخلت عن كل مظـاهر العناد التى احتمت بها في البداية فقال لها :

- كلا .. يجب أن تخبرينى يا آن ..

- لا أستطيع ..لـقد ظلت تضـغط على حـتى وعدتهـا بـالا أقول أى شىء ، وهددتنى إذا قلت الحقيقة بأن يتم إرسالى إلى السـجن ..

قال بغضب :

- من الذى قال ذلك ؟ هل هي عمتك كات ؟..

أومأت برأسها علامة الإيجاب فقال :

- إنها كاذبة يا أن .. ان كل ماقالته غير صحيح ..

- ليـتنى لم أذهب إلي والدتى .. لو لـم أفعل لما حـدث شئ ..كـان الأمر مجرد مزحة كما ذكرت العمة كات ولكننى صدقتها ووقفت ضد والدتى و ..

ثم انفجرت باكية ..

قال لها مايكل :

- أن ..ما الذى حدث ؟ أرجو أن تخبرينى بكل شئ ..

فظهـرت الحيـرة فى عينيـها ثم تنـهدت بعـمق وراحت تتطلع إلى مايكل .. شعرت بأن مقاومتها تضعف تدريجاً وأن هذا الرجل يحبها ويحاول مـساعدتها وقـررت أن تخفف من هذا الحمل الثـقيل ..الذى يجثم على صدرها فقالت :

- فى هذه الليـلة كنت ألعب فى حـجـرتي ثـم ذهبت إلى حـجـرة والدتي لألقى عليها تحية المســاء قبل أن أنام ، وقبل أن أدخل الحجرة

وجدت عـمتى كات تخـرج منها والغضب الشـديد يبدو على وجهـها وقالت لى إنها سوف تنتظرنى لتقول لى شيئاً هاماً ..

وبعد أن ألقيت التحية على والدتى خرجت إلى عمتى التى أجلستنى بجانـبها فـقالت لى :– أن والدتك ووالدك سـوف ينفصـلان بالطلاق وذلك بسبب خطأ والدتك .. أنها تحب رجلاً آخر وستهجرك إليه .

وأدرك مايكل الحـقيقة الرهيـبة وتخيل كات الشـيطانة التى أخذت تلقي بـالأكـاذيب فــى أذن الطفلة المسكـينة ، ولاشك فى ان إيما قـد شـاهدتهما جالستين معاً ..

قالت آن :

– وقالت عمتى إننى سأشـهد فى المحكمة عن سوء سلوك والدتى ، وقالت عنها أشياء فظيعة ، وسمعت والدتى ذلك وطلبت منها أن تكف عن هذه البذاءات ثم طلبت منى أن أذهب مـعها إلى حجـرتها ولكننى للأسف رفضت ولست أدرى لماذا سلكت مثل هذا السلوك السيئ ..

وتخيل مايكل الصورة بوضوح ..

إيما غاضبة أشد الغـضب لأول مرة وهى تطرد كات خارج منزلها وتحـاول إبعاد آن عن هذا الجـو المشحـون حـتى لا تسمع الكلمـات البـذيئـة ، ولكن الطفلة كـانت فزعـة تشـعـر بالخوف لمـا سمـعت ، واستعادت فى ذهنها كلمات كات واتهامها لأمها وبدأت تصدق ..

استطرد آن قائلة ·

– قالت عمتى أشياء كثيرة عن والدتى التى بدت شديدة الغضب وكنت أنا أرتعد لفرط الخوف والفزع فأمسكت بى عمتى ، وعندما رأت والدتي ذلك أسرعت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها بعنف ولم أرها بعد ذلك ..

كنت أنا المخطئة في كل ذلك فقد صدقت إتهامات عمتي لأمى ..

ثم انفجرت باكية وشعر مايكل بأن قلبه يتمزق ..

أخيراً عرف الحقيقة وتعجب لسلوك هذه الشيطانة كات ..كان يعرف أنها امرأة سيئة ولكن لم يتصور أن يصل بها الأمر إلى ذلك ..

من الواضح انها عرفت بطريقة ما أن إيما تلتقى بأحد الرجال وفسرت الأمر على هواها وكما أوحت إليها نفسها الشريرة ، وقررت انتهاز الفرصة للحصول على المال ..

نعم أنها لا تفكر إلا فى المال .. لاشك أنها ذهبت إلى إيما فى حجرتها وطلبت منها بعض المال عن طريق التهديد ولكن إيما رفضت وكان هذا سبب انصرافها غاضبة من الحجرة .. وهداها عقلها الشيطانى إلى طريقة فعالة لتحطيم إيما ..

إن ابنتها هى السلاح الفعال الذى سيحطم مقاومتها بلاشك ونجحت بخبثها تسميم أفكار الطفلة وجعلتها تكره أمها ..

يالها من شيطانة .. لقد نجحت فى قتل الحب والثقة بين الأم والطفلة . وعندما رأت الأم هذا التحول الرهيب فى سلوك ابنتها

الحبيبة شعرت بأنها فقدتها إلى الأبد فدخلت إلى غرفتها وهى محطمة القلب ..

سأل أن :

– ماذا حدث بعد ذلك ؟.

– كانت والدتى تقول ان عمتى أفسدت كل شئ ..ولكنه ذنبى أنا و..

قاطعها قائلاً :

– أريد أن أعرف ما حدث ..

حاولت الفتاة قدر جهدها أن تتماسك ولكنها قبل أن تهم بالكلام فتح الباب فجأة ودخلت كات إلى الحجرة ..

وعلى الفور نهضت أن من مقعدها واتجهت إلى ركن الغرفة وكأنها تحاول الاختفاء ولكن كات لم تهتم بها وقالت لمايكل بغضب :

– ماذا حدث ولماذا تركتنى انتظر كل هذا الوقت ؟.

من حسن حظه أنها كانت منفعلة ولم تر علامات الحقد الشديد على وجهه ..

قال ببرود :

– اننى أسف لعدم الحضور ..

– أعلم انك لم تحضر وأريد أن أعرف السبب ..

– عطلنى العمل ..

– ولماذا لم تتصل بى تليفونياً ؟ لقد انتظرتك ساعة كاملة ..

– ازداد حنقها عندما رأته يحدق فيها ببرود ودلائل النفور تطل من عينيه فصاحت قائلة :

– ماذا تحسب نفسك ؟ إنها المرة الأولى التى أدفع فيها ثمن الشاى الذى أشربه ..

لم يتمالك نفسه من الابتسام .. فهى فى هذا الموقف العصيب تشعر بالحزن على ما دفعته من نقود ثمناً لكوب الشاى ..

مد يده وأخرج حافظة نقوده ثم أخرج منها ورقة مالية وقدمها إليها بطريقة مهينة وقال :

– أن الخسارة يمكن تعويضها ..

ضاقت عيناها الخبيثتان وظن أنها ستصفعه على وجهه ..ولكنها توقفت عندما رأت وجهه المكفهر فصاحت غاضبة :

– هل الأمر كذلك .. حسناً ..

ثم صرخت فى الفتاة بحنق :

– هيا بنا ..

ودفعت الطفلة فى ظهرها بقوة ..

★ ★ ★

الفصل العاشر

شعر مايكل بالألم الشديد بعد أن عرف تفاصيل وفاة حبيبته إيما وكان يظن أنه سوف يستريح وتهدأ نفسه ..

فى كل لحظة كان يتذكر وجه إيما ويتخيلها وهى فى لحظاتها الأخيرة بعد أن حطمتها كات وجعلت أن السكينة تنقلب عليها ..

ثم تذكر أن .. إنها طفلة مسكينة للغاية وقعت فى براثن كات الملعونة ..

راح يقارن بين الطفلة البريئة الوديعة التى عرفها فى المستشفى وبين هذه الأخرى المذعورة العنيدة .. التى تتلفت حولها فى رعب وفزع ولا تثق بأحد ..

كل هذا بسبب كات هوارد ..

ماتت إيما وسوف تلحق بها أن بلا شك إذا لم يبادر بإنقاذها .. إنها طفلة مسكينة لا أحد يحميها وأقل ما يمكن أن يصيبها هو الانهيار العصبى والجنون ..

أما كات فإنها تعيش فى سعادة ولا تشعر بما جنت يداها ولا تمر بها لحظة واحدة من الخوف أو الندم ..

بل على العكس فقد ربحت الكثير من هذه الكارثة التى وقعت لإيما فقد خصص لها شقيقها - زوج إيما - مرتباً شهرياً ضخماً للإنفاق على الطفلة ، وبالطبع كانت كات تستولى عليه بحجة أنها (تريد أن تعيش) ..

تريد أن تعيش بعد أن قضت على إيما ودمرت حياة ابنتها أن ..

جلس إلى البيانو وحاول أن يعزف أى لحن ينسيه آلامه الرهيبة .. ولكن دون جدوى فقد تواصلت الآلام بلا انقطاع ..

وسيطرت عليه فكرة رهيبة بفعل الغضب والحقد المرير على هذه المرأة ..

فكر فى قتل كات هوارد ..

لقد تأكد من جرمها .. ففى البداية سممت أفكار الطفلة أن وأبعدتها عنه ثم جعلتها تفقد كل أمل فى الحياة وتفقد عقلها فى لحظة مستخدمة فى ذلك سلاح المكر والغدر والخديعة ..

إنها هى التى قتلت إيما حتى ولم تدفعها بيديها من النافذة ..

وربما كانت هى أيضاً التى دفعتها فإنه لا يدرى ، ولكن النتيجة واحدة فقد قتلت إيما بواسطة كات هوارد بلا شك .. إنه لم يعد بحاجة إلى المزيد من التفاصيل .. فقد أصدر حكمه النهائى .. كان حكماً بالقتل ..

إن ما يبقى على حياة كات حتى الآن هو وجودها بعيدة عنه ، فلو

أنها اقتربت منه لما استطاع أن يحول بين يديه وبين عنقها ..

.. لابد أن يذيقها ألواناً من العذاب والألم جزاءً لما اقترفته يداها ..

حاول أن يطرد عنه هذه الفكرة الرهيبة ولكن دون جدوى ..

كان وجهها يلوح له على سطح البيانو اللامع وهو ينظر إليه بسخرية مريرة ..وتمنى أن تبعدها الأقدار عنه حتى لا يلوث يديه بدمها القذر ..

نعم .. يجب أن يبتعد عنها حتى ينسى فكرة الانتقام ويتذكر حبيبته الرقيقة إيما ..

★ ★ ★

سمع رنين الجرس يدوى فى أرجاء المنزل بينما كان يعزف على البيانو ..

توقف عن العزف وتساءل .. أين الخدم ؟ ثم أدرك أنهم الآن فى فراشهم فالوقت متأخر للغاية ..

شعر بالقلق وهو يستمع إلى رنين جرس الباب الخارجى ، وأدرك بغريزته أن هناك شيئا ما قد حدث .. ترى ما هو ؟

ربما كان هناك مريض فى حالة خطرة ويحتاج إلى الطبيب بصورة عاجلة .. أسرع إلى الباب وفتحه ..

كانت دهشته عظيمة عندما رأى كات تقف أمامه .. أنها هى كات

التى تمنى ألا يراه قبل إنقضاء وقت طويل ..

وبدون وعي سد الباب أمامها فقالت له وهى تلهث :

– مايكل .. دعني أدخل .. أريد أن أتحدث إليك ..

قال ببرود :

– ولكن الوقت متأخر ، فلنرجئ هذا الحديث إلى الغد ..

– كلا .. ان الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً ..

– حسناً .. ماذا تريدين ؟

– هل نقف هنا ونتحدث ؟

ثم دخلت إلى الردهة وأخذت ترتقى الدرج فيما تبعها هو وتركزت نظراته على عنقها الناصع البياض ..

شعر بطرقات رهيبة تدوى فى رأسه وتكاد تصم أذنيه .. هيا اقتلها .. هيا انتقم لحبيبتك إيما ..

بذل جهداً جباراً حتى إلتصق بسياج الدرج وأمسك به بقوة وهو يرتجف .. كان يرتجف من الانفعال ..

كانت تخلع معطفها عندما دخل عليها غرفة الاستقبال ..

نظرت إليه بضراعة وقالت :

– أرجو أن تسامحنى لما بدر منى اليوم .. لقد كنت حمقاء ، ولاشك انك كنت مشغولاً فى العمل ولم يكن باستطاعتك أن تحضر ..

وعلى عكس ما توقعت قال لها مايكل بخشونة ·

- هل جئت في هذه الساعة لتقولى ذلك ؟ . حسناً لقد سمعت يمكنك الان الانصراف ..

قالت لنفسها ماذا حدث له ؟ يبدو أن هناك شيئا يؤلمه ..

وعلى العكس من أى امرأة شريفة كريمة الخلق فقد صممت كات على أن تستعيده مرة أخرى وتسيطر عليه كما كانت تتخيل ..

قالت بصوت ناعم :

- من الواضح أنك مازلت غاضباً منى .. أرجو أن تنسى ذلك ولنعد أصدقاء كما كنا .. ثم مدت إليه يدها ..

ولكنه تحول عنها وأعطاها ظهره ..

ورغم كل هذه الإهانات المتلاحقه لم تستسلم للفشل ، ولكنها قبل أن تنطق قال هو :

- كات .. أننى لا أريد أن أراك بعد ذلك أبداً

ولكنها تسمرت فى مكانها .. كان يريدها أن تنصرف بسرعة قبل أن تثور شياطين غضبه وينفذ فيها الحكم .. حكم الموت ..

قالت له معاتبة

- ماذا حدث يا مايكل حتى تفعل ذلك ؟ إنه أمر تافه حقاً ..

لم ينظر إليها وكان واثقاً أنها تحاول تمثيل دورها ببراعة ..

قال بلهجة جافة :

– ليس من أجل ما حدث اليوم .

– ولماذا تعاقبنا سوياً من أجل أشياء تافهة ..

قال بحدة :

– انك لا تفهمين شيئاً .. هل ترين اننى أعاقب نفسى أيضاً بالامتناع عن رؤيتك ؟

ولأول مرة تشعر بالقلق والرعب .. كان ينظر إليها نظرات ملتهبة جعلت جسدها كله يرتعد .. بدأ مايكل وكأنه على وشك ارتكاب جريمة فجسده يرتعد ووجهه صارم شديد الشحوب .. ماذا حدث له ؟

وأخيراً ظنت أنها عرفت الحقيقة فقالت :

– هل تريد أن تقطع علاقتك بي لأنك متزوج ؟

كاد ينفجر ضاحكاً فقد أدرك مدى غبائها وقصر نظرها ..

استطردت قائلة :

– لا تضع مثل هذه الاعتبارات فى ذهنك يا مايكل فإننى لا أبالى بها أبداً .. لا يهمنى ما يقوله الناس أو يظنونه ..

ثم اقتربت منه حتى التصقت به ..

وبمجرد أن لمسته تصلب جسده واستدار لها على الفور .. كانت

يداها فوق سترته فهمست قائلة :

- ما يكل .. إن كل ما أريده هو أن أظل معك مهما حدث ..

أخذ يتفرس فى ملامحا فوجدها تدعوه إليها بصراحة وقحة لم يتعودها ..

شعر بالنفور والاشمئزاز منها ..

ولكنه تمالك نفسه وقال :

- هل حقاً تريدين ذلك ؟

همست فى حرارة :

- نعم .. أريدك دائماً ..

وانبثقت فى ذهنه فكرة مروعة .. سوف ينتقم منها انتقاما رهيبا ولكن ليس الآن .. لقد قدمت له فرصة رائعة للانتقام ..

تمالك أعصابه وقال برقة :

- حسناً يا كات .. سوف أنفذ لك رغبتك ..

دهشت كات لهذه الرقة التى لم تعهدها فيه من قبل فانحنت عليه تقبله بقوة واضطر لأن يقبلها بدوره ..

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

تملكت فكرة الانتقام من عقله وبدأ يعد الخطة المناسبة لذلك ..

استخدم كل ذكائه وقدراته فى وضع أدق تفاصيل خطته ..

أعلن للجميع أنه سيرحل لقضاء أجازة قصيرة واتفق مع مساعده أن يقوم بكل أعماله خلال فترة الاجازة ..

عندما أخبر كات بأنه سوف يرحل معها بعيداً رحبت بالاقتراح وبدت فى غاية السعادة .. كانت تتفجر بالحياة والحيوية وهى مقبلة على هذه المغامرة الغامضة مع مايكل .. فهناك شىء ما يثير الانفعال فى هذا الرجل .. شىء غامض .. وكانت هى تعشق الغموض ..

خلال الساعات التى كانت تقضيها معه لاحظت كثرة شروده ووجومه وقررت أن تعرف الحقيقة ..

ومن ناحيته فلم يكن مايكل يشعر بها أبداً أو يحس بوجودها ..

حتى شعوره بالضيق والغضب منها بدأ يهدأ الآن .. كان كل تفكيره منحصراً فى تنفيذ خطة الانتقام ..

ذهب إلى المستشفى للمرة الأخيرة قبل الرحيل وحمل معه أدواته الطبية ومعدات الجراحة ..

صافح الأطباء والعاملين بالمستشفي الذين تمنوا له رحلة سعيدة .. كان أمامه عمل واحد صغير قبل أن يبدأ الرحلة مع كات هوارد ..

★ ★ ★

أخذ صوت المحاضر الشاب يخفت تدريجياً وهو ينظر إلى ساعته ..

توقف قليلاً وأخذ ينظر إلى الطلبة الذين جلسوا فى سكون تام وكأن على رؤوسهم الطير خلال المحاضرة الطويلة الممتعة ..

قالت الفتاة التى دخلت محاضرته بالصدفة : (ياله من محاضر رائع خبير فى خفايا النفس البشرية .. إنه يحلل نفسية أبطال قصته تحليلاً رائعاً وكأنه يعرف كلا منهم معرفة دقيقة) ..

وبعد قليل استطرد المحاضر :

– كان هذا العمل ذا طبيعة علمية دراسية .. كان يقوم به ولكن عقله راح يستعرض كل تفاصيل الخطة التى أعدها .. والجرائم التى ارتكبتها كات هوارد .. ثم توقف قليلاً ..

فقالت الفتاة لنفسها :

– لماذا لم يعد يتحدث بطلاقة كما كان يفعل فى البداية ؟ ترى هل أصابه الملل بعد هذا الحديث الطويل ؟

واصل المحاضر حديثه قائلاً :

- خلال هذا العمل اكتشف أنًّ خطته محكمة للغاية لا توجد فيها ثغرة واحدة .. وألتقى بكات فى المكان الذى حدده لها من قبل ..

انطلقت بهما السيارة خلال الظلام الذى خيم على مدينة لندن فى طريقها إلى الريف .. وخلال الرحلة ظل مايكل صامتاً ..

أما كات فلم تتوقف لحظة واحدة عن الثرثرة وهى فى غاية المرح والسعادة .. لم تعرف كات وجهتها لأن الظلام كان كثيفاً ، ولكنها صعقت عندما وجدت مايكل يتوقف أمام منزل إيما رايت !!

قال لها مايكل بهدوء :

- لقد سمعت أن هذا المنزل معروض للبيع وأريد أن أراه ..

هزت رأسها موافقة دون أن تنطق بكلمة ..

اختار لتنفيذ خطته يوم الجمعة حيث يكون كلاى البستانى فى زيارته الأسبوعية المعتادة لأخته .. تظاهر بأنه يضغط الجرس ولما لم يجد إجابة دخل من خلال النافذة التى حطمها من قبل ..

وتبعته كات مرغمة حتى وصلا إلى الطابق العلوى ..

دخل إلى حجرة إيما ومعه كات ..

إتجه مباشرة إلى النافذة وجذب الستائر بقوة ثم فتحها على مصراعيها ..

ثم قال لها بهدوء تام :

- أنا الرجل الذى كانت تحبه إيما .. وأنت التى قتلتها .. إننى واثق من ذلك .. شعرت بالخوف الرهيب يشل جسدها .. حاولت الفرار دون جدوى ..

قالَ لها بصوت جامد :

- سوف تموتين بنفس الطريقة التى ماتت بها إيما .. هيا ألقى بنفسك من النافذة .. ولكنها تجمدت فى مكانها وشُلت حركتها تماماً ..

ثم بدأت تحاول المقاومة ..

انطلقت صرخاتها عالياً مستغيثة .. ولكن دون جدوى فقد كانت المنطقة خالية تماماً إلا من الأشجار والحقول ..

ثم سقطت من النافذة كما سقطت إيما فوق الفناء الصخرى .. وأصبحت جثة هامدة ولقيت جزاءها العادل ..

ولا يجادل أحد فى أنها لقيت الجزاء الذى تستحق ..

وبدأ الأعياء على وجه المحاضر وهو يختتم محاضرته فقال :

- وهكذا ذكرت لكم أدق تفاصيل هذه الجريمة التى ارتكبها شخص يتمتع بعقلية سليمة وقام بتنفيذها بطريقة بارعة للغاية ولم يدع فيها ثغرة واحدة ..

نظر إلى ساعته وقال :

- أسف للإطالة عليكم .. لقد خصصت هذه المحاضرة لسرد تفاصيل الجريمة ، أما المحاضرة القادمة فسوف نخصصها للمناقشة العامة ..

ثم تناول قدحاً من الماء ..

كان الطلبة يجمعون أوراقهم ومذكراتهم ويتأهبون لمغادرة القاعة عندما سمع الجميع صوت أحد الطلبة كان يجلس فى مؤخرة القاعة وهو يقول :

- سيدى .. هل يمكننى أن أوجه إليك سؤالاً واحداً فقط ؟

كان المحاضر على وشك مغادرة القاعة وهو يشعر بالارهاق الشديد ولم يكن قد انتهى من شرب قدح الماء ..

عاد إلى وسط المنصة وهو يحمل الماء فى يده ..

ونظر الجميع إلى هذا الطالب الجريئ وهم يرتقبون سؤاله ..

قال المحاضر :

- يمكنك أن تسأل الآن ..

قال الطالب :

- من المؤكد أن الشكوك لم تحم حول القاتل أبداً ؟

قال المحاضر :

- كلا بالطبع .. فلم تكن هناك أية أدلة على وقوع جريمة قتل

ولذلك اعتبر الحادث انتحاراً ..

قال الطالب :

- عفواً يا سيدى .. هل يمكننى توجيه سؤال آخر ؟

- نعم ..

قال الطالب بخبث :

- ولكنه بلا شك - مثل الكثيرين غيره من المصابين بمرض جنون العظمة - لابد أنه أخبر أحد بجريمته على سبيل التفاخر مثلاً ..

أخذ المحاضر بالسؤال ..

قطب جبينه ثم قال بحدة :

- اننى لم أفهم سؤالك جيداً ..

فقال الطالب :

- هل هو الذى أخبرك بخطته ؟

ابتسم المحاضر ابتسامة خبيثة وقال :

- نعم .. فقد كان يعالج بالمستشفى لدى ..

- كان مريضاً عقلياً ؟

فقال على الفور :

- كلا .. كان سليم العقل تماماً كما ذكرت لكم فى البداية .. سليم

العقل مثل .. مثلى أنا ..

وشعر الطالب بالارتباك وبأنه تجاوز الحد مع المحاضر فقال له :

– أرجو ألا أكون قد ضايقتك بسؤالى يا سيدى ..

فقال المحاضر بهدوء :

– كلا بالطبع .. كان سؤالاً جيداً ..

أما المحاضر فقد جمع أشياءه بسرعه وأسرع إلى سيارته التى كانت تقف فى فناء الكلية .. فالوقت أمامه قصير للغاية ..

كان المحاضر هو نفسه مايكل جويس ..

ولم تنته قصته بعد !

★ ★ ★

الفصل الثانى عشر

وقف مايكل جويس بسيارته بالقرب من فندق اركاديا وهو فى انتظار كات ..

قال لنفسه : لاشك أنها ستتأخر عن موعدها كالمعتاد فهى تتصور أن ذلك يرفع قدرها فى أعين الرجال ..

كان قد أعد خطته بإحكام وحسب حساب هذا التأخير ..

وحضرت كات بعد تأخير عشرين دقيقة .. كان مايكل قد استعرض تفاصيل خطته مرة أخرى وتأكد أنه لم يترك شيئاً للظروف ..

قالت كات وهى تبتسم بدلال :

– هل تأخرت عليك كثيراً ؟

لم يحاول الرد عليها بل فتح باب السيارة ووضع حقيبتها فى الخلف ثم عاد إليها وجلس إلى عجلة القيادة ..

انطلق بسرعة وظل يراقب كات بطرف عينه ..

كانت تضع حول رأسها كوفيه حريرية لحماية شعرها كما كان

الطلاء يغطي وجهها كله .. شعر بالاشمئزاز من هذه المرأة التى تقضى الساعات الطوال فى التجمل والتأنق .. تأمل ثيابها .. كانت ترتدى معطفاً من الفراء الثمين فوق فستان أنيق ، كما كانت تتعطر بعطر ثقيل جعله يشعر بالاشمئزاز ..

قالت بدلال :

– لم أحاول أن أسألك إلى أين سنذهب ، ولكننى أشعر بالراحة فى كل مكان توجد فيه ..

– نعم .. سوف تشعرين بالراحة .. إننى واثق من ذلك ..

صفقت بيديها سروراً وقالت :

– يبدو أنك قد أعددت مفاجأة لن تخطر ببالى ؟

وراحت تتطلع إلى الشوارع المزدحمة والمحلات الانيقة وهى تتخيل الفندق الذى ستنزل به والمنطقة التى ستقضى فيها اجازتها مع مايكل ..

كانت تتمنى أن تنزل بفندق حديث فإنها تنفر من الفنادق الريفية .. لقد كان يصحبها دائماً إلى المطاعم الفاخرة والفنادق الغالية .. فهل يفعل ذلك أيضاً خلال الأجازة أم يفعل كغيره من العشاق يذهب إلى فندق ريفى ..

لقد مرت بها تجارب كثيرة مشابهة من قبل ..

انتبه مايكل على صوتها وهى تصرخ قائلة :

– ماذا فعلت ؟ لقد عبرت بينما كانت الإشارة حمراء ..

قال بلا اكتراث :

– أحقاً ؟ كان ينطلق بأقصى سرعة ولكنها المرة الأولى التى يكسر فيها الإشارة ..

أخذت كات تراقبه فى عجب ، وتتساءل : ترى ماذا أصابه ؟ أنه يبدو شديد الغموض ووجهه صارم للغاية ..

وكعادتها شعرت بالإثارة أمام هذا الرجل الغامض فاقتربت منه ولمست ذراعه ولكنه تجاهلها واندفع فى طريقه عبر الحقول المترامية ..

أخذت تتحدث بمرح فى كثير من الموضوعات ومايكل يرد عليها بإجابات مقتضبة أو يتجاهل الرد حتى سألته :

– إلى أين ذهبت هذا المساء ؟

– كنت ألقى محاضرة فى علم النفس الجنائى ..

– وماذا قلت لهم ؟

قال ببطء :

– حدثتهم بقصة رجل قتل إمرأة بغرض الانتقام منها ..

– يبدو أن هذا الرجل كان مجنوناً ؟

– كلا .. لقد كان بكامل قواه العقلية .

- لا يمكن أن يقدم الإنسان على القتل وهو بكامل قواه العقلية ، ولابد أن يكون لديه انحراف من أى نوع مهما بدا فى صورة طبيعية أمام الآخرين .. على سبيل المثال انظر إلى إيما

صرخ مايكل :

- نعم .. إيما زوجة أخى فيليب ..

شعر بالتوتر بمجرد أن سمع اسم إيما الحبيبة ولكنه تمالك أعصابه بسرعة وقال بصوت هادئ :

- وما علاقة إيما بموضوعنا ؟

- لقد أقدمت على الانتحار رغم إنها كانت تبدو للجميع سليمة العقل لا تعانى من أى خلل أو نقص ، ولا شك انها تعرضت لأزمة ما ..

فقال بهدوء :

- ولماذا تقولين أنها انتحرت ؟ أليس الأمر مجرد حادث عارض ..

- كلا .. لقد انتحرت و..

ولكنها توقفت عن الحديث وبدت على وجهها علامات الازدراء .. ثم قالت برقة :

- فلنتحدث فى شىء آخر ..

ولكنها شهقت فجاة فسألها :

- ماذا بك ؟

- هل هذا هو المعبد الذى يوجد بجوار منزلها ؟

قال بهدوء :

- نعم .. وسوف نذهب إلى هناك الآن ..

ارتعد جسدها وصرخت :

- ماذا تقول ؟ هل نذهب إلى منزل إيما ؟ لماذا نفعل ذلك ؟

قال وهو ينظر إلى الطريق :

- علمت أن المنزل معروض للبيع .. أليس كذلك ؟

- نعم ..

- اننى أفكر فى شراء منزل ريفى ..

فقالت بحدة :

- كلا يا مايكل .. إنه لا يصلح أبداً .. ألا ترى المكان الكريه الذى يوجد فيه ؟ وهناك تلك الأنغام البشعة التى تنبعث من المعبد ..

وتعجب مايكل .. فإن الأنغام التى كانت تسعد إيما تخيف كات ..

قالت بصوت ناعم :

- ولماذا تبحث عن منزل ريفى ؟

- اننى أميل إلى الهدوء بطبعى ..

- ولكنه وقت غير مناسب أبداً لزيارة المنزل .. يبدو انك جننت ..

لم تكن خـائفة وكـان الأمر بالنسـبة لها مـجرد نزوة انتـابت هذا الرجل الوسيم الذى تعلق بها وكان عليها أن تسجيب له ..

توقف بالسيارة فى المـمـر المؤدى إلى المنزل وأطفأ الأنوار ثم فتح لها الباب وقال :

– هيا ..

ولكنها لم تغادر السـيارة وكان لا يريد أن تبدأ المعركـة الآن فقال لها برقة :

– تعالى مـعى لأريك شيـئاً معـيناً .. لن يستـغرق الأمر أكـثر من دقائق .

سارت خلفه إلى المنزل .. حاول أن يفتح بعض النوافذ دون جدوى وأخيـراً وصل إلى النافذة التى كـسرها فـفتـحها وطلـب من كات أن تدخل منها ..

قالت ضاحكة :

– يالك من إنسان غـريب الأطوار .. يبدو أن موضوع الجـريمة قد استـحوذ على عقلك .. ثم صـعدت إلى النافـذة وتبعهـا خلال الظلام داخل الردهة ..

كان المنزل شديد البرودة ..وكأنها برودة الموت ..

قالت :

– انتظر لحظة حتى أضـئ الأنوار . .

ولكنه ١ تف قائلاً :

- كـلا .. أرجـو أن نقـوم بمغامرتـنا فى الـظلام حـتى لانفـسـد روعتها . .

قالت وهى تبستم :

- يبدو انك تريد القيام بمغامرة غرامية . .

- وهل يضايقك ذلك ؟.

- كلا بالطبع .

وأطلقت ضـحكة ماجنة ثم قالت :

- أننى أعرف الطريق جيداً خلال الظلام .. فإلى أين تريد الذهاب؟.

- أريد الصـعود إلى الطابق العلوى . .

ثم أشـعل عود ثقاب وكانت هى تتقدمه فصـعدت الدرج وقالت :

- لست أفهم كيف خطر ببالك السـكن فى هذا المنزل المقبض الكئيب .. إننى أكرهه حتى الموت ..

وببراعـة وذكاء تمكن مـايكل من المرور بكافة الغـرف حتى وصل أخيـراً إلى غرفة إيما فاسـتدرج كات فى الحديث ولم تشـعر إلا وهى بداخلها ..

أسرع مايكل بإغلاق الباب خلفهمـا ثم جذب السـتائر وفتح النافذة على مصراعيها فغمر ضوء القمر الغرفة وقال :

– هذه غرفة إيما !.

قالت ببرود :

– نعم . .

ثم قالت بانفعال :

– ولكن كيف عرفت ؟. .

– لأننى جئت إلى هنا من قبل . .

كانت كات تقف فى الركن البعيد عن النافذة وقد بدأت تشعر بالقلق .

قالت متعجبة :

– أليس غريباً أن تدعوها إيما هكذا ؟..

– كلا .. فقد كنت أدعوها هكذا دائماً ..

ثم اقترب منها حتى وقف أمامها تماماً وقال :

– كيف عرفت أن لإيما عشيقاً ؟.

شعرت كات بالضيق الشديد ..إنه ليس وقت الحديث فى هذا الموضوع الذى تمقته .. قالت :

– لقد فاجأتها يوماً وهى تتحدث إليه فى التليفون ورفعت سماعة التليفون الآخر لاسترق السمع ..

شعر بالاحتقار الشديد لها وقال :

- وهل عرفتيه من صوته ؟..

هزت كتفيها وقالت :

- كلا ..

فنظر إليها نظرة عميقة وقال لها :

- ولكنك الآن تعرفين عشيق إيما وتنظرين إليه بعينيك . .

.. أطل الرعب من عينيها وهى تحملق فيه وغاض الدم من وجهها وفتحت فمها وأخيراً قالت :

- أنت ؟.

كان مايكل يشعر بالمتعة والسعادة وهو ينفذ خطته بنفس التفاصيل التى وضعها .. وكما توقع فقد هزت المفاجأة كيانها وتوتر جسدها وارتعشت أطرافها وراحت تنظر إليه لخوف ورعب . .

استطرد قائلاً :

- لقد كنت غبية لأنك تصورت أن هذا الحبيب قد صدق قصتك المزعومة عن موت إيما ولم يحاول أن يتحرى الأمر ويعرف الحقيقة ..

ثم قال بصوت رهيب :

- لقد اكتشفت انك غبية مثلما أنت فاجرة قذرة . .

ظلت تحدق فيه وهى لاتفهم شيئاً .. ثم شعرت بالرعب والذهول

لهذا الانقلاب الرهيب الذى حدث له . .

كانت تتوقع ليلة سعيدة تبدأ فيها رحلة ممتعة مع عشيقها الوسيم ولكن الأن تحول تحولاً مخيفاً ..

أخذت تراقبه وهو يغلق باب الحجرة بالمفتاح ثم ينتزعه ورأت على وجهه علامات الحقد المروع والغضب الوحشى وأدركت مدى الخطورة التى تتعرض لها فاستيقظت حواسها وأهابت بها عزيزة حب البقاء أن تهرب . .

أسرعت إليه وحاولت اختطاف المفتاح من يده وهو يهم بوضعه فى جيبه ولكنه تراجع إلى الخلف بسرعة ، ولكن المفتاح سقط من يده ، وعلى الفور ألقت كات بجسدها عليه بينما كان .. يقهقه ضاحكاً ..

نهضت كات وهى تمسك المفتاح بيدها فقال لها :

– ولماذا تفعلين ذلك ؟..

– لأننى لا أريد البقاء فى حجرة مغلقة وحدى مع شخص مجنون ..

– بإمكانك إنتزاع المفتاح منك بالقوة إذا شئت . .

شعرت ببعض الاطمئنان عندما رأته يبتسم ابتسامته المعهودة ..لاشك أنه يمزح معها وأنه جاء بها إلى هذا المنزل ليقضى معها أوقاتاً سعيدة .. لايمكن أن يتحول مايكل الرقيق الوسيم إلى وحش ضار كما بدا لها منذ قليل . .

وقف مايكل فى هدوء أمام النافذة يتأمل منظـر الحقول المترامية ، ثم وقع بصره على المعبـد الصغير فى الناحية الأخـرى .. واستقرت نظراته أخيراً عـلى الفناء الحجرى أسفل النافذة حـيث سقطت .. إيما الحبيبة ..

إنتابه هذا الشـعور الرهيب .. دوار شديـد .. طنين فى أذنيه .. كل شئ حوله يدور بسرعة ولكنه تمالك نفسه خلال ثوان معدودة عندما أدرك أن القاتلة مازالت خلفه .. فى حجرة إيما .. قال بلهجة أمرة :

- تعالى إلى هنا . .

وبلا وعى انساقت إليـه وكأنها تـنساق وراء قوة لا تسـتطيع لها دفعـاً ..وقفت أمـام النافذة فـقال لها مـايكل وهو يشيـر إلى البقـعة الحجرية :

- سقطت إيما هنا .. أليس كذلك ؟..

قالت بصوت مرتعش :

- لا أعرف ياسيدى ..اننى لم أكن بالمنزل وقتها . .

قال لها بحدة :

- حتى ولو كنت غادرت المنزل فـما فعلته بهـا يساوى الدفع باليد تماماً .

كانت عـيناه تقدحان شـرراً فشعـرت كات بالفزع مـرة أخرى ثم

أسرعت إلى الباب تبتغى الفرار ولكن مايكل لحق بها بسرعة وقال لها :

- إلى أين تذهبين ؟.

- أريد أن أعود إلى لندن . .

قبض على كتفيها بأصابع كالفولاذ ..وقال :

- هل تعلمين ما الذى سوف أفعله بك الآن يا كات ؟. .

- إذا لم تتركنى فسوف أصرخ بكل قوتى . .

قال مايكل ساخراً :

- هيا اسمعينى صراخك .. مهما فعلت فلن يسمعك أحد ..

- ان البستانى هنا سوف يسمعنى ..

قال لها وهو مازال يقبض على كتفيها بعنف :

- هيا .. لماذا لم تصرخي ؟ .

- لا أريد أن أسبب لك فضيحة . .

تمنت أن يستجيب لتوسلاتها وأن يعود إلى طبيعته الوديعة ، ولكن ملامحه ظلت جامدة كالصخر .. قال لها :

- اليوم هو الجمعة وكلاى البستانى ذهب لزيارة أخته . .

فشعرت كأنها على وشك السقوط ، ولكن الفزع أمدها بقوة طارئة

فقالت له :

– دعنى .. دعنى أذهب . .

ولكنه لم يحفل بها واستطرد قائلاً :

– لقد أخبرنى كلاى بنفسه بهذا الأمر ولذلك تعمدت الحضور إلى هنا يوم الجمعة بصحبتك ..

أدركت كات أنها وقعت فى شرك لافكاك منه ، وأن مايكل أحكم التدبير والتخطيط للانفراد بها ولم تعد تشك فى نواياه تجاهها ..

تملكها الفزع ..وبدأت تفكر فى الهرب بجنون .. لابد أن تهرب .

أخذت تلهث بسرعة وهى تعصر ذهنها ..

كان السكون شديداً ولكنها سمعت صوتاً يأتى من مكان بعيد..

إنه صوت عزف موسيقى .. صوت الموسيقى المنبعث من المعبد والذى كرهته من قبل ، ولكنها الآن تحبه ..

تملصت من قبضة مايكل بقوة واتجهت إلى النافذة وقالت :

– هل رأيت .. أن كلاى مازال هنا .. إنه لم يذهب لزيارة أخته ألا تسمع صوت عزفه على الأرغن فى المعبد ..

وبالفعل سمع مايكل صوت أنغام الأرغن ..

أدرك أنها على حق وأن كلاى مازال هنا ..

قالت كات :

– هل رأيت .. أنه مازال هنا فلا أحد يستطيع العزف على الأرغن فى الظلام سواه ولاشك أنه قادم الآن إلى هنا بعد أن ينتهى من العزف ..

أسرع إليها وأمسكها من الخلف بقوةٌ وقال :

– لن يعود كلاى بسرعة كما تتخيلين ..

حاولت كات التملص منه وهى تنشب أظافرها فى يديه وتقول :

– ماذا تقول ؟ لاشك أنك جننت ..

ولكنه تجاهلها وقال :

– لقد ذكرت لهم كيف أحضرتك إلى منزل إيما ، وكيف جعلتك تفعلين ما فعلت بها .. نعم قلت لهم إنك مت بنفس الطريقة التى ماتت بها إيما ..

أخذت تركله بقدميها وتصرخ :

– دعنى أذهب .. دعنى أذهب ..

ولكنه قبض عليها بقوة رهيبة وصرخ بصوت كالرعد :

– تخيلى نفسك فى موقف إيما بعد أن أفسدت حياتها وسممت أفكار ابنتها الحبيبة .. تخيلى ذلك ولو للحظة واحدة ..

كانت كات ترتعد من الخوف ..

ولدهشتها وجدت أن أنغام الأرغن توقفت فروادها الأمل فى النجاة

وقالت :

– لقد انتهى كلاى من العزف على الأرغن وسوف يعود حالاً ..

فقال مايكل بهدوء :

– كلا .. لن يعود قبل أن انتهى منك .. نعم ستموتين قبل عودته ..

ولكنها نجحت فى التملص من قبضته ثم اتجهت إلى النافذة وأطلقت صيحة استغاثة فاندفع إليها بسرعة وقبض عليها بإحدى يديه وباليد الأخرى كمم فمها ..

نجحت فى الهرب منه للمرة الثانية بعد أن تركت معطفها فى يده واتجهت نحو الباب وقبل أن تفتحه انقض عليها مايكل بقوة ..

أخذت تعدو فى الحجرة وتحاول الهرب منه كالحيوان الذى وقع فى الشرك .. لم يتوقع أن يجد منها هذه المقاومة .. لقد ذكر للطلبة أنها ألقت بنفسها من النافذة بهدوء ..قالت له :

– إنك إنسان مجنون شديد الخطورة ولن تفلت من العقاب ..

تمزق ثوبها فى يده وهى تقاوم وتبعثرت خصلات شعرها ..

أخذت تصرخ بفزع :

– إننى بريئة من قتل إيما صدقنى .. لقد كذبت عليك أن ..إنها هى السبب فى كل ما حدث .. صدقنى ..كانت مجنونة كأمها إيما ..

لست أنا التى فعلت ذلك .. إننى لم أسىء إلى إيما قط ..

ثم راحت تتضرع إليه :

- لا تقتلنى يا مايكل .. أرجوك امنحنى الفرصة للحياة ..

ونجحت فى التخلص من قبضته ثم أسرعت إلى النافذة وصرخت :

- كلاى .. إنقذنى يا كلاى .. النجدة ..

ولكن مايكل لحق بها وقبض على عنقها بقوة ثم ارغمها على النهوض حتى بلغت قاعدة النافذة ..

سمع صوت سقوط جسم معدنى على أرض الحديقة ولكنه لم يحفل بشىء ..

أخذ يشدد الضغط على عنقها بينما كانت مقاومتها تضعف رويداً رويداً ، وانساب العرق غزيراً من جبهته يغطى عيناه ..

أخذ يضغط على عنقها بقوة بينما ارتفع جسدها حتى بلغ حافة النافذة ..

وفجأة انفلتت من بين يديه وهوت إلى أسفل ..

سمع صرخة مكتومة ..

عندما نظر إليها كانت بقعة داكنة فوق حجارة الفناء ..

★ ★ ★

الفصل الثالث عشر

بعد أن انتهى مايكل راح يتطلع إلى الغرفة وهو ذاهل الحواس ..

كان كل شئ فيها قد انقلب وأصبحت .. في حالة رهيبة من الفوضى .. ولم تعد حجرة إيما .. لقد انقلب الاثاث وتمزقت الستائر وتبعثر الفراش وامتلأت الأرض بالكتب والأوراق المبعثرة وحطام المصباح ..

قرر أن يهرب منها بسرعة ..

ألتقط معطف كات الذى كان ملقى بجوار النافذة ثم إتجه إلى الباب .

عندما حاول فتحه وجدها مغلقاً بالمفتاح ..

تذكر على الفور أنه هو الذى أغلقه .. أخذ يبحث عنه فى كل مكان دون جدوى أين ذهب ؟..

أخذ يعصر ذهنه لكى يتذكر .. وأخيراً تذكر أنها هى التى أخذته ..

نظر إلى جثتها الملقاه أسفل النافذة ..

لقد ذهبت كات هوارد ولن يراها بعد ذلك ..

وتذكر أنه سمع رنين المفتاح على الأرض قبل أن يلقى بها من

الناقذة وأدرك ان المفتاح يرقد الآن بجوار جثتها ..

قرر أ ن يبحث عن وسيلة إخرى يفتح الباب ..

تناول محرك النار الحديدى وراح يضرب به القفل بقوة ولكن القفل كان قوياً لم يتحرك ..

لابد أن ينصرف الآن من الغرفة ..

أخذ يضرب الباب بكتفه بقوة حتى يحطمه ..

فشلت المحاولات الأولى فراح يستجمع كل قوته حتى يخرج من الغرفة ..

وأخيراً تحطم الباب فجأة وسقط مايكل على أرض الردهة ..

توقف لحظة لالتقاط أنفاسه وهو يرهف السمع ويحمل معه معطف كات ..وجد السكون التام يخيم على المنزل ..

أخذ يتحسس طريقه فى الظلام بحذر حتى بلغ النافذة التى دخل منها فتسلقها وخرج إلى الحديقة ..

أخذ يسير حول المنزل لهدف لا يعرفه ..

حتى بلغ الجزء الخلفى من المنزل وهو الذى تطل عليه نافذة غرفة أيما كان يسير فوق العشب حتى لا يسمع أحد صوت أقدامه على الحجارة ، فوجد جثة كات حيث ألقاها ..

وعلى الفور لفها فى المعطف وحملها متجهاً إلى سيارته ..

وجدها خفيفة الوزن فأسرع إلى السيارة قبل أن يعود ..كلاى ، وبينما حو يدور حول المنعطف تجمد فى مكانه ..

لقد سمع وقع أقدام تقترب مصحوبة بصوت رجل يغنى ..

وعلى الفور اختفى خلف شجرة ضخمة وفى نفس اللحظة ظهر كلاى وهو يتجه بسرعة نحو البيت ..

أخذ مايكل يراقبه حتى دخل ثم أغلق الباب خلفه فأسرع يعدو بسرعة حتى وصل إلى السيارة فوضع جثة كات فوق المقعد الخلفى واندفع بالسيارة بأقصى سرعة ولآخر مرة ألقى نظرة على منزل إيما الحبيبة ..كانت نوافذه الأمامية مغلقة بحيث يظن الناظر إليه أن أهله نائمون ..

وفى نفس اللحظة فتح الباب الرئيسى بعنف واندفع كلاى خارجاً فرأى أضواء السيارة وهى تندفع من خلال البوابة وتختفى عند المنعطف ..

علت الدهشة وجهه ..

أسرع إلى المنزل حيث اتصل بمركز البوليس ..

★ ★ ★

لم تكن لدى مايكل جويس أية فكرة عن المكان الذى سيذهب إليه .. أخذ يقود السيارة خلال الطرق الريفية بدون هدف ..

كان جسده منهكاً للغاية بعد هذا المجهود العنيف كما كانت أعصابة محطمة وشعر برغبة قوية في النوم .. ورغم كل ذلك فقد كان سعيداً بعد أن حقق الانتصار على هذه الشيطانة وانتقم لحبيبته إيما .. أخيراً أخذت العدالة مجراها ..

لقد نفذ حكم العدالة بيديه كما كان يفعل الإنسان الأول ..

وتذكر شيئا مزعجاً ..

لقد قال للطلبة أن منفذ الجريمة أحسن التخطيط ولم يترك ثغرة واحدة..

وتذكر بعض الثغرات التى تركها .. أنكرت كات فى اللحظة الاخيرة أنها أساءت إلى إيما كما أنها قاومته ولم تستسلم بسهولة كما ذكر للطلبة ..

حانت منه التفاتة إلى المقعد الخلفي فاقشعر جسده ..وتذكر موقفه الرهيب .. إنه هو مايكل جويس الطبيب الشهير فى هارلى ستريت يخترق الطرق الريفية خلال الليل ومعه جثة امرأة قتيلة !!

أفاق لنفسه وقرر أن يتخلص من الجثة بسرعة ويلقيها فى أى مكان ..

ولأول مرة يلاحظ أن الضباب بدأ يتكاثف شكل رهيب ويخفى عنه معالم الطريق .. أصبح كل شىء مظلماً ولم تعد أنوار السيارة تستطيع اختراق الظلام الكثيف ..

.. كان الضباب قد تكاثف على الزجاج الأمامى فأوقف السيارة وتناول قطعة من القماش أخذ يمسح بها الزجاج ، وفى هذه اللحظة قررالخلاص من الجثة ..

ما كاد يمد يده اليها حتى سمع دوياً رهيباً تبعه صوت فرامل حادة ..

ترك حمله بالسيارة وأغلق الباب بعنف ثم اتجه إلى الخلف .. فرأى على ضوء الفوانيس القوية سيارة نقل ضخمة تقف خلف سيارته حيث هبط منها جندى أمريكى ضخم الجثة وقال له بحنق :

– كيف تقف بسيارتك هكذا فى وسط الطريق ؟.

وقف مايكل أمام المقعد الخلفي ليحجب الجثة عن أنظار الجندى ثم قال متلعثماً :

– كنت أنظف زجاج السيارة .. إن الرؤية أصبحت صعبة للغاية ..

فربت الجندى على كتف مايكل وهو يراه متوتراً ثم قال :

– هل تعرف أين نحن ؟.

كان مايكل قد رأى لافته الطريق قبل أن يتكاثف الضباب فأخبر الجندى أنه فى طريق بورتسماوث فقال الأمريكى :

– اذن فأنا أسير فى الطريق الصحيح ..

– يمكننى أن أصف لك الطريق إلى هناك ..

– أشكرك .. سوف أسير خلفك ..

شعر مايكل بالرهبة وقال :

– ولكننى ..ولكننى سوف أنحرف عن الطريق الرئيسى بعد قليل .

– حسناً .. سوف أتبعك حتى تشير إلى بيدك ..

وجد مايكل نفسه مرغماً على السير أمام الجندى وهو يتمنى أن يرى أى منعطف فى الطريق .. وخلال .. حوالى سيلين لم يجد أى منعطف حتى كاد يفقد الأمل ..ولكنه رأى ثغرة صغيرة وأدرك أنها تؤدى إلى طريق فرعى فأشار بيده للأمريكى أن يواصل السير مباشرة وقال له :

– عليك أن تسير فى طريق مستقيم حتى تصل إلى بورتسماوث ..

– شكراً يا چورج .. إلى اللقاء ..

★ ★ ★

وجد مايكل الطريق طيقاً للغاية فمضى فيه بحذر شديد ..

قرر أن يخرج الجثة ويتركها فى أى مكان بالطريق ثم يبتعد عنها ولن يراه أحد بفضل الضباب الكثيف ..

وفى نفس اللحظة التى قرر أن يتوقف فيها وجد شبحاً يقف أمامه فى عرض الطريق يشير له بالوقوف .. فاضطر للوقوف حتى لا يصطدم به .

اقترب منه رجل عجوز وقال بلهجة مهذبة :

- أرجو أن تساعدني .. لقد وقعت سيارتي في حفرة ..

شعر مايكل بالرعب .. فالجثة في المقعد الخلفي وهي غير مغطاه بالمعطف وخشي أن يراها الرجل ..

قال في اقتضاب :

- إنني أسف للغاية ياسيدي ..إنني في عجلة من أمري ولن أستطيع مساعدتك ..

- حسناً .. يمكنك أن تتفضل بتوصيلي إلى منزلي ..إنه لايبعد عن هنا أكثر من نصف ميل ..

قال مايكل :

- أسف ياسيدي ..فهناك مريض في حالة خطرة وعلي أن أذهب إليه بسرعة لم يتزحزح الرجل عن موضعه وقال :

- هل أنت طبيب ؟..

- نعم .. أرجو أن أصل في الوقت المناسب ..

قال العجوز وهو يبتسم :

- إنها فرصة طيبة .. أنا أيضاً طبيب .. اسمي الدكتور فاريل وعيادتي قريبة من هنا فإلى أين ستذهب ؟..

لم يتوقع مايكل هذا السؤال إلى أين يذهب ؟! وأخيراً تمتم قائلاً :

- إلى نهاية الطريق ..

- حسناً .. سوف أترك سيارتى وأذهب معك لأقرب تليفون ..

توترت أعصاب مايكل وهو يرى الرجل يدور خلف السيارة حتى يجلس فى المقعد المجاور له ..

.. ماذا يفعل ليخفى الجثة ؟ فسوف يراها بالتأكيد بمجرد أن يضع قدمه فى السيارة .. نظرة واحدة فقط تكفى ..

وفى نفس اللحظة قال الدكتور فاريل :

- لحظة واحدة سوف أحضر حقيبتى من السيارة ..

وعلى الفور وضع مايكل الجثة بعناية وغطاها بالمعطف ليخفيها تماماً .

عاد الدكتور فاريل وهويحمل حقيبته فدخل السيارة وجلس بجوار مايكل الذى انطلق بالسيارة ثم قال :

- إلى أين تريد الذهاب ؟.

- إلى أقصى مدى يمكنك أن تذهب أنت إليه ..

لم يكن مايكل يعرف أين هو ولا كيف يجيب الرجل .. حاول أن يتذكر اسم أى مكان قريب دون جدوى ..

قال أخيراً :

- اننى لست متأكداً تماماً من المكان .. هل هو قريب أم بعيد ..

قال الدكتور فاريل بثقة :

– لاداعى للقلق ..اننى أعرف هذه المنطقة جيداً ويمكننى أن أساعدك ..

قال مايكل باقتضاب :

– شكراً لك .. ان المكان بعيد ..

تمنى مايكل أن يكف الرجل عن أسئلته حتى يفكر بطريقة سليمة ولكن الرجل عاد يقول :

– هل أنت من لندن ؟..

– نعم ..

فسأله الرجل عن كسور الجمجمة ووجدها مايكل فرصة طيبة ليتحدث عن مهنته التى يجيدها فذكر له الرجل أن طفلة صغيرة أصيبت فى حادث سيارة على الطريق فسأله مايكل عدة أسئلة أدرك من إجاباتها أن الطفلة فى خطر شديد ..

وبعد قليل هتف الدكتور فاريل :

– هاهو الطريق الذى يوصلنى إليها .. سوف أحضر وفاتها ..

قال مايكل :

– قد تنجو بمعجزة ..لقد رأيت حالات أخطر من ذلك ونجا المصابون منها ..

قال الدكتور فاريل ببرود :

– هذه حوادث خارقة ولكنني لا أتوقع حدوثها ، ولا يهمني أن تحدث أم لا ..

قال مايكل بحماس :

– أما أنا فأتمني أن تحدث هذه المعجزة لأنني لا أحب أن يموت أحد مرضاى ..

قال العجوز ساخراً :

– إنك مازلت شاباً صغيراً ، وعندما تقتل من المرضى كما قتلت فسوف تفتر حماستك .. ثم قهقه ضاحكاً ..

– ولكنني أشعر بالسعادة البالغة عندما أنقذهم ..

– لاشك انك تفعل ذلك بدافع الأنانية والخيلاء .. إن الإنسان ليست لديه مشاعر طيبة كلا ..إنه يتخيل ذلك فقط ..

– إنني لا أقر هذه النظرة إلى الحياة ياسيدى ..ان هذا يجعل الأمور شديدة التعقيد ..

– لا عليك .. ها قد وصلنا إلى المنزل .. سوف يكون الأمر شاقاً للغاية خاصة بالنسبة لوالدة الطفلة ..

فسأله مايكل :

.. كم عمرها ؟.

فى الثانية عشر تقريباً ..

وبدون وعى غمغم مايكل قائلاً :

– فى عمر آن ..

فقال له الدكتور فاريل :

– هل هى ابنتك ؟.

– كلا ..

وبعد أن وقفت السيارة قال له الدكتور فاريل :

– هل يمكن أن تأتى معى لنفحصها سوياً ؟ لاشك أن هذا سيجعل أهلها مقتنعين بما تقول ..

شعر مايكل بالحنق على هذا الرجل المتشائم الذى لا يكترث بحياة المرضى كما شعر بالشفقة نحو الطفلة فقال له :

– قد يكون هناك أمل فى الشفاء .. هل هى على قيد الحياة ؟..

– نعم ..

– هيا بنا ..

وتبعه إلى منزل الطفلة المصابة ..

★ ★ ★

الفصل الرابع عشر

كان المنزل بأحد أكواخ العمال ..

اتجه الدكتور فاريل إلى إحداها ومايكل يتبعه وفى الطريق رأى أحد رجال الشرطة فانتابه الخوف وخطر بباله أن يفر عائداً إلى سيارته .. ولكن الشرطى لم ينظر إليه واتجه إلى الدكتور فاريل وعبر عن أسفه لهذا الحادث ..

وفى هذه اللحظة فتح باب البيت وظهرت إمرأة عجوز قالت للدكتور فاريل بلهفة :

– أخيراً عدت يا دكتور .. كنا نخشى ألا تعود مرة أخرى .

ثم قادتهما إلى غرفة رطبة مظلمة ليس بها إلا بعض المقاعد وأريكة بالية ..

قال لها الدكتور فاريل :

– لقد أحضرت معى أحد الزملاء المتخصصين .. إنه زميلى الدكتور ..

ثم صمت حتى يذكر الرجل اسمه ولكن مايكل تجاهله وقال بخشونة :

– أين المريضة ؟

دخلت سيدة فى منتصف العمر وقالت بجزع :

– هل رأيت يا دكتور فاريل .. إنها ترقد بغير حراك .. لقد نقلناها إلى هنا ..

كان من الواضح أنها والدة الطفلة وأشارت إلى الطفلة التى أرقدتها على مائدة صغيرة فمضى إليها مايكل وأخذ يفحصها بعناية ..

وجد أن تنفسها ضعيف للغاية وغير منتظم .. كانت فى حالة سيئة.. فحص موضع الجرح العميق كما اختبر انعكاسات رد الفعل العصبى وقال أخيراً للدكتور فاريل :

– إنها مصابة بتلف في الشريان الأوسط ..

لم تفهم الأم معنى هذه الكلمات ولكنها كانت تشعر بالثقة فى هذا الطبيب البارع الذى فحص طفلتها بثقة .. قالت ضارعة :

– سيدى .. هل ستعيش طفلتى ؟

ربت مايكل على كتفها برقة ثم قال لفاريل :

– سوف أجرى لها جراحة الآن ..

وطلب وعاء نظيفا ليعقم أدواته وبعض الأغطية النظيفة بينما نظر إليه فاريل بدهشة كأنه يرى أمامه رجلا مجنون ..

أسرع مايكل عائداً إلى سيارته ليحضر الحقيبة التى تحتوى على

آلاته الجراحية وعاد إلى الطفلة التى استحوذت على كل تفكيره فنسى الجثة التى يحملها فى سيارته تماماً ..

قال له الدكتور فاريل هامساً :

- لا داعى للمخاطرة .. لأنها إذا ماتت خلال الجراحة فسوف يجرى تحقيق ويصبح مركزك سيئاً للغاية ..

قال مايكل بثقة :

- لا سبيل أمامنا إلا إجراء الجراحة الآن ، لأننا لو تركناها فستموت خلال نصف ساعة على الأكثر ، وهى فترة لا تكفى لنقلها إلى المستشفى ..

- ان هذا يستلزم وجود طبيب متخصص وأنا لا أعلم كثير عن الجراحة ولذلك لن أشاركك العمل ..

أدرك مايكل أن الرجل يود أن يبعد أى شبهة عن نفسه فقال له :

- اننى أتحمل المسئولية وحدى وسوف تكون الطفلة على ما يرام ..

أغلق مايكل باب الغرفة خلفه بينما جلست الأم والجدة ومعهم الشرطى بالخارج وهم فى حالة سيئة للغاية .

أعد مايكل كل شىء بعناية وجهز معداته وأدواته وشمر عن ساعديه ثم ارتدى قفازا مطاطيا ووضع على وجهه قناعا أبيض معقم ..

رقدت الطفلة بلا حراك وهى مغطاه بغطاء أبيض لا يظهر منه سوى رأسها .. وبدأ مايكل الجراحة المعقدة ..

رأى فاريل مقدار براعة رفيقة ودقته البالغة فى التعامل مع الشرايين والأعصاب ..

وكلما مر الوقت ازداد فاريل تقديراً واحتراماً لهذا الطبيب الشاب الذى يصغره بأكثر من ثلاثين عاماً ولكنه يفوقه خبرة ومهارة وشجاعة وإخلاصا ، فراح يعاونه فى نقل الأوعية ويناوله الأدوات بصدر رحب ..

وتعجب من أمره ..

لقد ألتقطه على الطريق خلال الضباب وعندما تحادثا سوياً بدا متحمساً للغاية وها هو يؤيد صدقه وبراعته وأن حديثه لم يكن كلاماً فى الهواء ..

تمنى أن ينجح زميله فى الجرحة حتى لا يتعرض لأى موقف محرج خلال التحقيق أما هو فلن يتعرض له أحد ..

أخذ مايكل يسابق الزمن ويبذل قصارى جهده حتى يدفع شبح الموت عن الطفلة .. لقد طالت الجراحة وأصبح يخشى على الطفلة من الوفاة وهى مازالت تحت تأثير المخدر ..

وجد أن الطفلة تكاد تتوقف عن التنفس وانزعج ..

لابد أن يعطيها منشط للقلب فوراً ..

قال لرفيقه :

- أريد أى منشط للقلب فوراً .. هل معك شيء من الكورامين ؟

قال فاريل :

- اننى لا أحمله أبداً ..

نظر مايكل إلى الطفلة بجزع ثم قال :

- معى بعض منه فى السيارة .. ستجده بالدرج الأمامى ..

قال فاريل بسرعة :

- سوف أحضره لك حالاً ..

وما كاد يغلق باب الغرفة خلفه حتى تجمد مايكل ..

لقد نسى كل شيء عن الجثة وقد أرسل فاريل إلى السيارة حتى يكتشفها .. ياله من غبى أحمق ..

ارتعد جسده وشلت حركته ولكن أشعة الضوء سقطت على رأس الطفلة وعلى الفور نسى كل شيء عدا واجبه ..

نعم .. لابد ان ينتهى أولاً من إنقاذ الطفلة ثم يفكر بعد ذلك فى أمر كات ..

ولكن .. لماذا تأخر فاريل هكذا ؟

خيل إليه أن ساعات طوال انقضت على ذهاب فاريل .. شعر بأن العرق العزير يغمر كل جسده ووجهه ..

أما الطفلة فقد كادت تتوقف عن التنفس تماماً ..

ترى هل رأى جثة كات بالسيارة ؟

لا يهم .. المهم الآن أن يعود بأنابيب الكورامين ..

وأخيراً عاد فاريل وهو يحمل معه الكورامين ودخل بسرعة إلى الغرفة ..

كان وجهه شديد الامتقاع ولمح مايكل فى عينيه نظرة فزع رهيبة ..

نظر إليه بثبات ..

قال فاريل :

– لم تكن فى الدرج الأمامى ولكننى تمكنت من العثور عليها ..

وأدرك مايكل أنه عرف كل شىء فهدأ تماماً وكأنه حملاً ثقيلاً قد انزاح عن صدره ..

قدم الحقنة إلى فاريل وقال :

هيا .. اسرع ..

بعد لحظات بدأت الطفلة تتنفس بانتظام ..

وأخيراً أقفل لها مايكل الجروح بعناية بالغة ثم طلب من فاريل أن يناوله الضمادات وراح يربط الرأس ببراعة ، وكان فاريل يراقب يديه الثابتتين بدهشة ..

ثم وضعـها فى الموضع المناسب وكشف الأغطيـة إلى الخلف قليلاً وكانت الطفلة تتنفس بانتظام .. إى أنها مازالت على قيد الحياة ..

خلع الرجلان أقنعـتهما ونزعـا القفازات ثم قـاما بتنظيف الأدوات والأجهزة وبعد ذلك اغتسلا وهما يشعران بالرحة البالغة ..

انتهت المهمـة العارضة وعاد إلى مايكل القلق والرعب من الحـقيقة الرهيبة الكامنة بداخل السيارة .. نظر إلى فاريل حتى يبدأ الحديث ..

قال العجوز بصوت يحمل كل معانى التقدير والاعجاب :

– يالك من طبيب بارع .. لقد أديت عملاً رائعاً ..

قال مايكل بتواضع :

– أشكرك .. أتمنى أن تصبح الطفلة على ما يرام ..

– يبدو أنك متخصص فى هذه الجراحات الصعبة ..

– نعم .. وأعتقد أن الطفلة ستعيش إذا مرت هذه الفترة الحرجة ..

قال الطبيب ساخراً :

– ولكن لا تظن انك تسـتطيع التـحكم فى مصـائر الناس بمثل هذا العمل ..

قال مايكل بدهشة :

– وهل تشعر بذلك عندما قذ أحد المرضى من الموت المحقق ؟

– كـلا بالطبع ، ولكننى أتحـدث عنك أنت .. ان شـفـاء الطفلة من

مصلحتى بالطبع ولكن لا يهمنى كثيراً أنَ تعيش أو تموت !!

كان فاريل يفكر فى أمر هذا الطبيب النابغة وهو مندهش للغاية ..

إن علامات الذكاء والعبقرية واضحة عليه تماماً ، ومن المؤكد أنه لم يساعده ليحصل على أى مكسب مادى .. كلا ..

ولكن لماذا يتوقف ويعرض عليه إنقاذ الطفلة رغم ان ذلك يعرضه لاكتشاف الجثة فى سيارته ؟ ترى ما هو الدافع لذلك ؟

هل يكفر عن ذنبه ويحاول إنقاذ طفلة بريئة بعد أن قتل هذه المرأة ؟

أم هى العادة المتأصلة فيه كطبيب لا يستطيع أن يصم أذنيه عن نداء الواجب ؟

أم أنه جنون العظمة ؟!

يبدو أن الأمر كذلك .. فالمصابون بهذا الداء يعتقدون أنهم فوق مستوى البشر ويتحكمون فى مصائر البشر بالخير والشر أيضاً ..

اذا كان الأمر كذلك فإنه شخص شديد الخطورة ..

قال مايكل :

– لا أعتقد أن الكثير من الأطباء يفكرون كما تفكر ..

قال فاريل :

– أنت فقط الذى يفكر بهذه الطريقة .. اننى أتحدث عن الأشخاص الطبيعيين وليس الشواذ ..

تجمدت ملامح مايكل بينما استطرد فاريل قائلاً :

- إن هؤلاء الأشخاص الطبيعين يفكرون بعقول سليمة يعرف الجميع محتوياتها ، أما أمثالك فعقولهم ليست متينة ومن السهل أن تتحطم ، وخير للمجتمع أن يتخلص من هؤلاء الشواذ الذين يهددون حياة البشر ..

شعر مايكل بالاضطراب أمام الهجوم الكاسح لفاريل العجوز الذى بدا كما لو كان يصدر عليه الحكم بالإعدام .. فقال :

- أن كل ما تقوله غير صحيح .. فعندما يعالج الطبيب مريضه حتى يصل به إلى الشفاء الكامل أو إلى الموت فإنه يفعل ذلك بحياد تام ولا يفكر لحظة هل يستحق المريض الحياة أم لا ..

أما ما فعلته اليوم فقد كان تنفيذاً للعدالة .. نعم لقد لعبت دور القاضى العادل وأصدرت حكماً عادلاً ..

قال الطبيب بلا اكتراث :

- إنك مصاب بجنون العظمة .. لا شك فى ذلك ..

وفى هذه اللحظة سمع مايكل صوتاً بالخارج يقول :

- من هو صاحب السيارة التى تقف بالخارج ؟

وتصلب جسده بينما فتح فاريل الباب بحذر ورأى شرطياً يتحدث إلى أهل الطفلة المصابة ..

عندمـا عاد الطبـيب وجـد الباب الخلفى للحـجـرة يفتح ولم يجـد الطبيب العبقرى ..

شعر فى قراره نفسه بالإعجاب لهذا الطبيب النابغة وحزن لنهايته التعسة .. غادر الحجرة وعلى وجهه ابتسامة الرضـا ..

اندفعت الأم نحوه وقالت بلهفة :

- كيف حالها يا دكتور ؟ هل هى بخير ؟

- نعم .. لقد تعدت مرحلة الخطر ..

- ان زميلك هذا كان عظيماً .. من هو .. اننى لم أرِه من قبل ..

- ولا أنا ..

- ما أسمه وأين يقيم ؟

- لا أعرف ..

وجاء الشرطى إلى فاريل وسأله قائلاً :

- هل أنت صاحب السيارة التى تقف أمام المنزل ؟

- كلا ..

- هل تعرف صاحبها ؟

- كلا .. لماذا ؟

- لقـد كـدت اصطدم بهـا لأنه أوقـفـها فى الـطريق ولم يضىء

مصابيحها الخلفية ..

شعر فاريل بالارتياح وقال :

– هل الأمر كذلك ؟!

★ ★ ★

عاد مايكل إلى سيارته وانطلق بها عبر الطرق المظلمة .. لم يفكر في الفرار فقد نسي كل شيء عن الجريمة ..

إن المجرم الذى يرتكب جريمة القتل مرة لا يهتم بما يحدث بعد ذلك ..

أخذ مايكل يحلل سلوكه خلال الليلة الأخيرة وكأنه شخص محايد ..

لقد ارتكب الجريمة بعد تخطيط دقيق وقتل كات بكل هدوء ورباطة جأش .. ولكن القتل لا يرتكبه إلا المجانين الشواذ ..

ولكن هل يمكن أنْ يكون مجنوناً ؟

لقد أجرى للطفلة جراحة خطيرة .. فهل يفعل المجانين ذلك ؟

ثم تذكر كلمات الطالب فى المحاضرة وسؤاله عن القاتل .. هل كان فى مستشفى المجانين .. وقول كات له وهى تحتضر .. انك مجنون خطر ..

وكلمات الدكتور فاريل .. ﴾ من الخير للمجتمع ان يتخلص من

هؤلاء الشواذ الذين يهددون حياة البشر » ..

أخذت الكلمات تدوى فى أذنيه وتختلط مع هدير محرك السيارة ..

مجنون .. مجنون ..

الجميع يصرخون فى وجهه بهذه الكلمة .. كات .. الدكتور فاريل .. الطلبة فى قاعة المحاضرات ..

لا شك انهم على حق ..

وبدأ يشعر بالراحة أخيراً

توقف بالسيارة فى بقعة هادئة فوق الصخور العالية التى تعلو الماء .. لقد انقشع الضباب عن هذه المنطقة بسبب البحر الذى تألقت أمواجه تحت أشعة القمر ..

أخذ يراقب الأمواج وهو يشعر بنداء خفى إليها فرحب بالدعوة ..

تصلب جسده لحظة ثم وجد نفسه يعانق الهواء البارد قبل أن يرتطم جسده بالماء ..

وبعد لحظات غمر الماء رأسه ..

وانتهى كل شىء ..

★ ★ ★

(تمت)

مجموعة قصص
أجاثا كريستى

* القضية المستحيلة
* النظرات القاتلة
* رحلة إلى المجهول
* الحب الذى قتل
* جزيرة المهربين
* المؤامرة الكبرى
* الأفعى
* جريمة ممثلة
* أبواب القدر
* المتهمة البريئة
* مغامرات بوارو
* التضحية الكبرى
* جريمة فوق االسحاب
* جريمة فى العراق
* الساحرة
* اللغز المثير
* سر التوأمين
* اختطاف رئيس الوزراء
* العميل السرى
* سر الجريمة
* القضية الكبرى
* الجريمة الكاملة
* قتيل فى المترو
* ذكريات
* أدلة الجريمة
* القاتل الغامض
* الرسائل السوداء
* عدالة السماء
* المتهم الصامت
* الذنب
* شرخ فى المرآة
* زملاء الشر
* المغامر .
* لغز الهاربان
* المطاردة القاتلة
* لغز أختفاء المليونير
* الضحية الثالثة
* الصوت الغامض
* القناع الزائف
* الحلم الرهيب
* رجل بلا قلب
* صرخة فى الليل
* خيوط العنكبوت
* تحدى العظماء الأربعة
* جريمة فى البحر
* المرآة الغامضة
* لغز الألغاز
* الرجل الخفى
* وجها لوجه
* جريمة الكوخ
* كأس السم
* الرعب القاتل
* دائرة الخطر
* الغرفة السرية
* الشبح القاتل
* رجل يتحدى بوارو
* سر المرأة المقنعة
* الجريمة المعقدة
* الرصاصة الأخيرة
* الشاهدة الوحيدة
* المأساة العجيبة
* بيت الأسرار
* شبح من الماضى
* الساحرات الثلاثة
* الوثيقة السرية
* الجريمة المزدوجة
* سر زائر الليل
* الخطة الجهنمية
* ساعة الصفر
* جريمة فى قط
* جزيرة الموت
* المصيدة
* جريمة القصر
* أغتيال اللو
* الزائر الغامض
* الخدعة الك
* أعلان عن ج
* الأنتقام الر

مكتبة معروف
الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ - ٤٨١٦١٢٥ / فاكس: ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة: ٠١٠٥٥٠٩٤٦٤ - ٢٦١١٢٤٩

١٥٢٨

المملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض